سيدنا داود

ميزان الإيمان:

يبدأ تاريخ المسجد الأقصى من مدينة القدس ومن أرض فلسطين التي أرسل الله إليها أنبياء كثر. وكان أهل المدينة كلما بعدوا عن طاعة الله، صارت مدينتهم أكثر تعرضاً لغزو الكفار وطمع الطامعين، فيرسل الله إليهم نبياً ليعيدهم إلى طاعة الله، لذلك سميت بميزان الإيمان في الأرض كلها.

يعني: لو أنت من كوكب آخر وتريد أن تعرف ما هي أخبار الأرض؟ هل الأرض مؤمنة أم لا؟ انظر للقدس ولفلسطين واعرف مع من هما، فإن كانتا مع المؤمنين فاعلم أن الأرض كلها مؤمنة؛ لأن هذا الجزء من الأرض لا يمكن أن يكون إلا مع المؤمنين، لو كانت مع غير المؤمنين إذن فالأرض غلب عليها الفسق والفجور، فميزان الإيمان في الأرض أن تكون فلسطين مع المؤمنين، فإن كانت مع غير المؤمنين فاعلم أن الأرض بعيدة عن طاعة الله وعن منهج الله، واعلم أن الأرض كلها في اتجاه آخر وأنه ما زال أمامنا مجهود لترجع الأرض إلى درب الله، وبمجرد أن يصبح المؤمنون مؤمنين فعلاً فيجب أن ترجع فلسطين للمسلمين، وذكرنا أن في هذه الأرض بعث آدم عليه السلام، وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، وذكرنا أن سيدنا داود وسليمان عليهما السلام كانا فيها، وذكرنا أن سيدنا موسى عليه السلام أرسل من أجلها، وسيدنا هارون عليه السلام كان فيها، وسيدنا يحيى وزكريا وعيسى كانوا يعيشون فيها، وأن النبيّ ﷺ كان يجب أن يذهب إليها.

حلم جميل:

وسنذكر قصة سيدنا داود عليه السلام الكثيرة الشبه بقضية فلسطين، وقضية القدس وقضية المسجد الأقصى، نحن سنذكر أولاً كل ما يتعلق بفلسطين واليهود، ثم سيدنا داود عليه السلام ونكمل مع سيدنا سليمان عليه السلام ونذكر عبادة سيدنا داود؛ لأنه كان من أشهر الأنبياء الذين عرفوا بالعبادة، والسؤال: هل فلسطين والقدس سيحررها إنسان ملتزم دينياً أم لا؟ أم لا بد له من مواصفات خاصة؟ فمن يفتح فلسطين ومن ينال هذا الشرف؟ والذي يمن عليه الله تبارك وتعالى بهذا الشرف يجب أن يكون صاحب مواصفات خاصة جداً، كلكم مشتاقون وتقولون:

obeikandl.com

لو أكون أنا صلاح الدين الجديد أو أكون من جيل صلاح الدين الجديد، كنت أتمنى أن أكون في جيش عمر بن الخطاب ﷺ، الذي دخل ليفتح المسجد الأقصى، حلم جميل.

يا ترى، هل هو حلم حياتكم؟ انتبهوا يا إخواني، الجيش الذي فتح فلسطين في عهد عمر بن الخطاب كان مليئاً بالنساء، وجيش صلاح الدين كان معظمه من النساء، وكان للنساء دور أساسي في تحقيق الفتح في عصر صلاح الدين. هذا هو ما سنذكره، النقطة الثانية التي سنتناولها أيضاً هي: ما حكاية كلمة (أرض الميعاد)؟ لأن (أرض الميعاد) كلمة يقولون أنها نشأت في عهد سيدنا داود، فسنعرف هل هذا الكلام صحيح أم لا؟

ما المشكلة؟

ونبدأ القصة من بعد وفاة سيدنا موسى، لقد قلنا أن سيدنا موسى مات في التيه. الآية تقول: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 26]، لأن الله تعالى أمر سيدنا موسى بأن يأخذ قومه من مصر ويذهب بهم إلى الأرض المقدسة - إلى المسجد الأقصى - ليحررها، لكن بني إسرائيل كانوا قوماً لا يصلحون ومشكلتهم هو حبهم للدنيا وتعلقهم بها وخوفهم من الموت.

فلو أن الدنيا تسيطر على كل ذهنك وعقلك، فلا يوجد في ذهنك إلا الدنيا، أما الآخرة لا تفكر بها فاعلم أنك لن تكون من الجيش الذي سيمن الله عليه بفتح فلسطين، هل هذا هو حلم حياتك، هل سألت نفسك ما مقدار الآخرة والدنيا في قلبك؟ لا أريدك أن تفهم هذا الكلام على أني أريدك أن ترتدي أسوأ ملابس وألا تتعلم وتغلق على نفسك بابك، وأن لا تستعمل كل وسائل التطور التكنولوجي، وأن لا تستثمر مالك وترفع من مستوى معيشتك. لا، إياك أن تفهم أن هذا هو المقصود، لا، أنا أريدك أن ترتدي أفضل ملبس، وتخرج وتذهب إلى النادي، وتلعب أفضل رياضة، وتأخذ بيد الناس بأحسن مظهر، ليس لي علاقة بشكلك من الخارج، إياك أن تظن ذلك، هل أنت من داخلك متعلق بالدنيا؟ لا أحد يستطيع أن يجيب على هذا السؤال إلا أنت، أنت الوحيد، هناك من لا يجد شيئاً ليأكله وملابسه بسيطة جداً والدنيا ملء قلبه سيموت عليها، وهناك من يركب أفضل سيارة لكن الدنيا لا تساوي عنده جناح بعوضة، ليس لها علاقة بشكلك الخارجي، لها علاقة أنت بداخلك ما شكلك؟ فهل أنت فيك مشكلة بني إسرائيل؟ اسمع ماذا قالوا لسيدنا موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة: 21، 22]،

المشكلة هي حب الدنيا، الدنيا جعلتك تخاف، خائف على كل شيء في الدنيا، فرجع سيدنا موسى ﷺ مرة أخرى فقالوا له: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة 24]، فسيدنا موسى قال: ليس معي أحد أدخل به فلسطين غير أخي، كلهم جبناء، الدنيا ملأت قلوبهم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ﴾ [المائدة: 25، 26].

الدنيا تسيره:

لماذا حدد الله رقم أربعين سنة؟ أربعون سنة حتى يتغير الجيل؛ لأن هذا الجيل جبان، جيل أصبحت الدنيا كل حياته، جيل أصبحت قضيته أنه لا شيء في ذهنه، لا يملأ العقل بأي حلم كبير، الدنيا هي التي تسيره، أنا أخشى أن يكون فينا شباب مثل هذا الجيل، لماذا دخل المدرسة؟ لأن أباه وأمه كانا يضربانه لو لم يدخل المدرسة، فدخل المدرسة، ثم خرج من المدرسة أين سيذهب؟ حسب مجموعه، المجموع هو الذي سيذهبه إلى الجامعة الفلانية، دخل الجامعة الفلانية وظل يذاكر أربع سنين، وتخرج من الجامعة أين سيذهب؟ حسب التقديم والقوى العاملة، ثم ذهب للعمل ماذا سيفعل؟ سيجمع المال ليتزوج، من سيتزوج؟ التي تقع أمامه فيتقدم لها وترضى به زوجاً؛ لأنها تريد أن تتزوج، فعندما يتقدم لها أي إنسان ستقبل لا يهم أي شيء آخر المهم أنها تزوجت، ثم ينجب وفي النهاية يموت، وانتهى الموضوع.

هناك الكثير من البشر بهذه الصورة، هو لا يأخذ قراراً إنما هو يسير حسب الظروف، وهذا لا يصلح في تحرير فلسطين، فالذي يحرر فلسطين يجب أن يكون صاحب هدف، عنده حلم كبير في حياته يريد أن يحققه، إنسان هو الذي يصنع حياته، إنسان يعرف ماذا يريد؟ ولأنها عندها هدف وحلم حياتها كبير عندما تقدم لها اثنان للزواج ستفكر أيهما تختار؟ لأن عندها هدف تريد أن تحققه.

ان عدم وجود هدف في الحياة كارثة، فارحموكم يا شباب الصلاة لا تكفي وانما يجب ان يكون عندك هدف كبير في حياتك.

سأعرض لكم هدفاً، وأظن أن هذا الهدف مناسب للواقع الذي نحن نعيشه، أنا حلم حياتي أن أحرر فلسطين، هل هذا ممكن أن يكون هدفاً؟ هل ممكن أن يصبح هذا حلم حياتك؟ اجعل لك هدفاً في الحياة، الذي ليس له رسالة لا حياة له، هل هدفك في الحياة

أن تأكل وتشرب وتتزوج وتنجب وتموت؟ اسأل نفسك ما هو هدفك في الحياة؟

من سيحرر فلسطين؟

يجب أن يكون عندك هدف واضح تريد أن تحققه إن شاء الله بعد عشرين سنة، هذه هي مواصفات الناس الذين سيحررون فلسطين، فكان يجب أن يتيهوا أربعين سنة، أربعون سنة تيه في الصحراء، يذهبون ويلفون ويتيهون، وماذا كان يفعل سيدنا موسى؟ كان يربي جيلاً جديداً، يربيه على التعلق بالآخرة، كان هدف الجيل الجديد هذا إرضاء الله ﷻ ودخول الجنة، هدفي وغايتي أن أموت والله راضٍ عني.

لقطة سريعة:

انظروا لصلاح الدين الأيوبي، صلاح الدين ظل ثلاثين سنة وهو غير متدين، شاب عادي، هدفه أن يركب فرساً ويتنزه به ويتسابق به، فقط هذه هي قضية حياته، وظل صلاح الدين هكذا فترة إلى أن أصبح سنه ثلاثين سنة، فجاء لمصر، أريد أن أبين لك كيف تحول من إنسان بلا هدف إلى إنسان عنده هدف، فهدف صلاح الدين جاء من حادثة؛ صلاح الدين جاء مصر وليس لديه أحلام أو طموحات، كان فارساً معجباً بنفسه، دخل مصر، ورأى أحد الصليبين يدوس برجله على رقبة رجل عجوز مسلم فقام وقال: **أقسم بالله العلي العظيم أن أفني عمري في سبيل الله**، هذا صلاح الدين، تخيلوا الحادثة، أنتم كم من الحوادث ترون؟ مصانع المناديل أصبحت تربح من دموع المسلمين ليل نهار من كثرة النحيب، تخيل صلاح الدين الشاب العادي في لحظة تحوّل وأقسم بالله ألا يبتسم حتى يحرر مسرى رسول الله، وظل عليها، ابتسم وهو يموت قال: **الآن يبتسم صلاح الدين**، فقالوا له: الناس كلها تبكي وهي تموت وأنت تضحك وأنت تموت؟ هو لم يكن يضحك قبل ذلك أبداً كان يقول: **كيف أضحك والمسجد الأقصى أسير؟** قال: نعم، اليوم أبتسم قالوا: لم؟ قال: اليوم ألقى رسول الله، فأقول له: أنا الذي حررت مسراك يا رسول الله، تخيلوا، كيف تحقق الحلم الكبير؟ هل تستطيع أن تقول مثل صلاح الدين: أقسم بالله العظيم أن أفني عمري في سبيل الله؟ صلاح الدين عندما قال هذه الكلمة لم يتهور إنما جلس خمسة عشر سنة بعد هذه.

هناك فرق كبير بين حماسة زمنية، شاب متحمس يريد أن يعبر عن حماسة زمنية يحرك بها عواطفه، وبين إنسان عنده هدف ومستيقظ، قل: أنا من اليوم من أجل تحرير فلسطين سأجعل عشرة من أصحابي متدينين وسأكون شديد الصلة بالله، وسأحرص على نجاحي

وتفوقي في جامعتي ورياضتي وسأحرص أن آخذ بكل من حولي، وأنتِ قولي: أنا سأساعد أصحابي في حفظ القرآن، صلاح الدين كان موجوداً في حياته ألف مقرأة مسؤول عنها النساء، يعني: كان يوجد ألف شيخة في عهد صلاح الدين تعلّم القرآن والدين.

أسوار المدينة:

المهم سيدنا موسى عليه السلام غيّر الجيل وجاء بجيل جديد، وسيدنا موسى مات أثناء التيه، ومات سيدنا هارون عليه السلام أيضاً أثناء التيه، وبعد الأربعين سنة أصبح هناك جيل يصلح أن يفتح فلسطين، ومات سيدنا موسى على أسوار القدس، سأل موسى ربه قال: يا رب، ائذن لي أن أدفن عند أسوار المدينة، هل فلسطين غالية عندك يا سيدنا موسى بهذا المقدار؟ ولماذا طلب سيدنا موسى أن يدفن عند أسوار القدس؟ لأنه يعلم أن هذه المدينة ليس هو المسؤول عنها، يعلم أن المسؤول عنها أمة محمد ﷺ فخاف أن يطلب أن يدفن بداخلها فيقولون: إن موسى مدفون داخلها، فقال: يا رب، ادفني في الخارج، هل لاحظتم حب سيدنا موسى لهذه الأمة؟

إياك أن تستهين بنفسك:

مات سيدنا موسى ومات سيدنا هارون، والأمة جهزت الجيل، الجيل الذي خرج من الشباب، جيل نافع، جيل رجال، جيل مساجد وصلاة فجر وقرآن، لأنهم موصولون بالله، لكن لا بد من ظهور نبي يقود، فظهر يوشع بن نون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾ [الكهف: 60]، ذكرنا في قصة موسى أن هذا الفتى هو يوشع الذي تربى على يد سيدنا موسى عليه السلام، وكان يحضر دروس العلم على يد سيدنا موسى عليه السلام فأصبح اليوم يصلح أن يقود بني إسرائيل، هذا المعنى خطير جداً، فكل شاب اليوم يسمع دروس العلم ولو كان يتلعثم في قراءة القرآن لكن بعد عشرة سنين من اليوم سيصلح أن يكون أفضل إنسان متدين في الشركة أو في المصنع أو في النادي، يوشع الذي كنا غير منتبهين له ونحن نقرأ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾، كنا نقول ونحن نمر عليها: دعنا من القصة ما هذا الفتى وما لنا، هذا الفتى هو الذي سيحرر المسجد الأقصى.

إياك أن تستهين بنفسك، إياك أن تقول: هل أنا الذي سيحل الموضوع؟ هذا صلاح الدين بدأ عمره ثلاثون سنة وعمل لهدفه حتى بلغ سبعة وخمسين سنة، فإياك أن تقول: ماذا سأفعل أنا؟ إياكِ أن تقولي: ماذا سأفعل أنا؟ أنتِ التي ستلدين الرجال وتربينهم حتى يصبحون أمثال صلاح الدين... أنتِ التي ستنصرين إخوانك الذين يبكون هناك ويوضعون

في الأكياس ويلقون في القمامة، أنتِ التي ستنصرينهم، فإياك أن تخذلينا وكوني على قدر المسؤولية وقولي: أنا سأؤدي دوري.. أن تنمي بلدك.. أول هذا الدور أن تنجح في جامعتك بدون غش لتفهم صنعتك، وأن تجيد مهنة، وأن تنجح في الحياة، وأن تتعلم كيف تأخذ بيد الناس لله، أن تبقى مجاهداً لنفسك، يعني نحن نقول مواصفات الجيل الذي سيحرر فلسطين، وعرضنا منه أشكالاً.

وتغيرت نواميس الكون!

خرج يوشع بن نون، هو وبنو إسرائيل وحاصروا فلسطين وحاصروا مدينة القدس، حاصروها ستة أشهر، استعصيت عليهم ستة أشهر ليفتحوا فلسطين، يريدون أن يفتحوا المسجد الأقصى لكن لا يستطيعون، قال النبيّ ﷺ: «**إن آخر يوم في المعركة كان يوم جمعة**»، انتبهوا؛ لأن السبت بالنسبة لبني إسرائيل محرم عليهم أم لا؟ محرم عليهم العمل ومحرم عليهم الحرب أيضاً، ممنوع في يوم السبت أن يحارب بنو إسرائيل واليوم يوم الجمعة، وبدأ سيدنا يوشع وبنو إسرائيل يعملون لفتح أسوار القدس وبدأوا يدخلون وبدأ يلوح الانتصار لهم.

اليوم سينتهي مع غروب الشمس، وأتى وقت العصر، وبدأت الشمس تغرب، الشمس قربت وبدأ سيدنا يوشع ينظر إلى الشمس لو أنها غربت ستتوقف المعركة وسيحصنون أنفسهم مرة أخرى ويضيع كل النصر الذي تحقق، يقول النبيّ ﷺ: «**فنظر إلى الشمس وقال: إنك مأمورة وأنا مأمور** ـ أنت عابدة مكلفة من الله، أنت تعملين عند الله وأنا كذلك ـ **اللهمّ احبسها حتى نفتح بيت المقدس، فحبست الشمس**»[1]، يقول النبيّ ﷺ في حديث رواه البخاري ومسلم: «**فحبسها الله تبارك وتعالى**»، تغيرت نواميس الكون، تخيل تغيرت حركة الليل والنهار ليفتح بيت المقدس، ومن أجل يوشع ومن أجل المؤمنين.

والله قادر سبحانه وتعالى أن يرد فلسطين في لمح البصر، لكن أين المؤمنون؟

أرأيتم ظلوا يعملون أربعين سنة من أجل أن يحرروا المسجد الأقصى، ولا تأتي المعجزة إلا في آخر ثلث ساعة؟ وذلك النصر الذي لا يأتي إلا للمؤمنين فيتحرر المسجد الأقصى، أحد المستشرقين الذي درس الإسلام انبهر بهذا الدين العجيب العظيم فقال: يا له من دين لو كان له رجال، لو كان لهذا الدين رجال، لكان له شأن آخر، يقول النبيّ ﷺ في

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 1324)، و(الحديث: 5157)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 4530).

حديث آخر: «**إن الشمس لم تحبس لأحد** ـ لم تقف الشمس في مكانها من ساعة أن خلق الله الكون ـ **إن الشمس لم تحبس لأحد إلا ليوشع**»[1].

إياك أن يصيبك اليأس:

يا إخواني، كونوا على ثقة بالله، إياك أن يصيبك اليأس عندما ترى ما يحدث في الوضع العالمي للمسلمين وما يحدث للمسلمين في فلسطين، إياك أن تيأس، والله لو يئست إذن أنت غير واثق في قدرة الله ﷻ، الذي أوقف أنظمة الكون قادر على كل شيء يا إخواني، هذه المعجزة شديدة جداً لكن لأنها لم تذكر في القرآن وإنما ذكرت في السنة فيوجد الكثير من الناس لا يعلمونها؛ لأنها مرتبطة بالنظام الكوني العالمي، هل أنت متخيل لو أن الشمس وقفت! الأرض والمجرة والفلك كله وقف، هل أنت متخيل هذا؟ نحن مجرة من بين ملايين المجرات، الكون كله يتوقف من أجل أن يفتح بيت المقدس، لماذا؟ لأن المؤمنين اكتملوا، أصبح هناك رجال مؤمنون، ولذلك أنت متخيل أن شاباً لا يستطيع أن يقاوم سيجارة ينفع أن يحرر المسجد الأقصى، هو ضعيف أمام السيجارة فهو يعلم أن هذه السيجارة بالنسبة له شيء كريه، لكن هو أضعف من أن يتركها ويقلع عنها، مستحيل لن يتحقق النصر، هي ما زالت إلى الآن تلبس الحجاب وكل شيء لكنها لا تستطيع أن تستغني عن أدوات التجميل، أنتِ عملتِ الصعب وارتديتِ الحجاب وسترت شعرك الذي هو أغلى شيء عندك، لماذا ترتدين سروالاً ضيقاً؟ لأنك غير قادرة، إذن لا ينفع أن تكوني من الجيل الذي يحرر فلسطين، وهذا ليس حلم حياتك، أنت تسخرين من الإسلام والمسلمين.

انظروا الى هذا، الله قادر، فقط ليكن عندك ثقة بالله تبارك وتعالى، هل رأيت كيف انها معجزة عظيمة؟

دعوة مستحيلة:

معجزة وقوف الشمس معجزة عظيمة والأجمل منها يوشع؛ يعني: لو أنت في مكانه وقاربت الشمس أن تغرب ولم يبق إلا ثلاث دقائق، هل من الممكن أن يأتي في ذهنك لحظة أن تدعو بهذه الدعوة الصعبة، يعني لو أنا هناك سأدعو وأقول: يا رب، انصرنا في الدقائق الباقية، سأدعو بشيء معقول، يا رب اهزمهم، يا رب، زلزل الأرض من تحت أقدامهم ولتنشق الأرض وتبتلعهم، لكن آخر شيء تتخيله أن تنظر للشمس وتقول لها: أنا مأمور وأنت مأمورة يا رب أوقفها، هذه الدعوة تحتاج درجة من اليقين غير عادية وأن تكون

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 325).

ثقتك في الله غير عادية، هل تقدر أن تدعو بهذه الثقة؟ الناس الذين هم محرومون من الإنجاب هل تستطيع أن تدعو لهم بهذه الثقة، الشاب الذي يتمنى أن يتزوج هل تستطيع أن تدعو بهذه الثقة؟ رغم أنها أشياء أسهل، فيا إخواني نتمنى أن تدعو بهذه الثقة، ما المانع أن تدعو الله وتقول: يا رب لا يمر عليّ عشر سنين إلا وأنا في فلسطين فأفتحها ويتحقق، يا نساءنا قلن: المولود الذي سيخرج من بطني أو ابني يا رب اجعله مثل صلاح الدين، يا إخواني انظروا لثقة يوشع في الله تبارك وتعالى.. ثقة غير عادية، طلب أمراً مستحيل أن يطلب أحد مثله.

اطلبوا يا إخواني وكونوا على ثقة في اللّه وسيستجيب الدعاء، ادع بقلب قوي سيتحقق واللّه سيحقق ما تتمناه.

شروط إجابة الدعاء:

شروط إجابة الدعاء أربعة أشياء لو قُمت بها وفعلتها يقيناً دعاؤك سيستجاب.

أولاً: اليقين في الإجابة، أن تدعو وأنت متأكد من الإجابة، لا تدع وأنت غير مصدق.

ثانياً: الخشوع، أن تدعو بخشوع شديد يعني تدعو وأنت تتذلل إلى الله بخشوع.

ثالثاً: عدم الاستعجال كأن تلح في السؤال، لا تقل كفى، وإنما ألح على ربك.

رابعاً: أكل الحلال، أن يكون مالك حلالاً.

والله الذي يحقق هذه الأربعة دعاؤه مستجاب، جاء سعد بن أبي وقاص يسأل النبيّ ﷺ قال: ادعُ الله أن أكون مستجاب الدعوة، فالنبيّ ﷺ يعرف أن سعداً مكمل الثلاثة، فقال: «**يا سعد، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»[1]، اجعل أكلك حلالاً دعاؤك يستجاب، وأنتم يا شباب اجعلوا مالكم من حلال، حتى لو أن مال أهلك ـ لا قدر الله ـ فيه شبهة حرام، إنما أنت مصروفك حلال، وتأخذه بطريقة حلال، فليس عليك أي شبهة في المال الذي معك، إذن أنت انتهيت من أحد الشروط يتبقى لك ثلاثة: اليقين في الإجابة، عدم الاستعجال، الخشوع أثناء الدعاء، فافعلوا هذه الأربعة وادعو وكبروا أحلامكم، ما المانع أن يكون حلم حياتنا فتح فلسطين وفتح المسجد الأقصى؟ ما المانع أن يصبح هذا حلم حياتنا؟ وأن تبدأ من الآن وتكبر أهدافك في الحياة وتصبح صاحب هدف كبير ويكون عندك صورة للمسجد الأقصى في قلبك وتذهب وأنت تعلم أين أنت ذاهب؟

---

(1) أخرجه المنذري في «الترغيب والترهيب» (الحديث: 2/ 547).

الصفة المشتركة:

حديث البخاري ومسلم فيه نقطة جميلة جداً، يقول لك: إن يوشع وهو ذاهب إلى المسجد الأقصى قام ونظر للناس وقال لهم: لا يتبعني منكم ثلاثة ـ أي الذي فيه شيء من هؤلاء الثلاثة لا يأتي معي ـ رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ـ يعني واحد عقد على واحدة ولم يدخل بها، بمعنى أنه لا هو عازب ولا هو متزوج هو في مرحلة الخطوبة، انظر للثاني: رجل بنى بيتاً ولم يبن سقفه بعد ـ لا يخرج معي الذي لم يكمل بناء بيته ـ والثالث: رجل اشترى غنماً وهو ينتظر ولادتها، فهي على وشك الولادة هذا لا يذهب معي، هل هؤلاء الثلاثة حرام؟ لا بل حلال جداً، إذن لماذا لا يذهبون معه؟ ما الصفة المشتركة في هؤلاء الثلاثة؟ أنهم مشغولون بالدنيا، ففتح فلسطين له مواصفات خاصة، وكأني أقول لكم: لو أردتم أن تحرروا فلسطين أنهوا كل أعمالكم في هذه الحياة بسرعة، الذي يرسب في جامعته كاذب إن قال: أريد أن أحرر فلسطين، الذي يستطيع أن يحسن وضعه ويتأخر غير صادق، فمن عنده ظروف ويستطيع أن يحسنها، لا أحد يعلم متى سيبعث الله من يفتح فلسطين، هذه نعمة والله يا إخواني، الله سيختارنا بالفرد: تعال أنت، تعال أنت، تعالي أنتِ، لا أنتِ لا، انظر ماذا يقول النبيّ ﷺ: **«لا يزال قوم يعصون حتى يخلفهم الله ﷻ»**[1]، فيوشع هنا وضع لك مبدأ مهماً جداً، الذين سيحررون فلسطين الصفة الأساسية لهم أن يكونوا قد انتهوا من مشاكل الدنيا أولاً بأول غير مشغولين بها، ليس معنى هذا أنك تقول: والله لن أتزوج، لا ستظل إذن غير مستقر، تزوج لتستقر حياتك وتذهب، هذا معنى مهم جداً.

وكنت أظنها لا تفرج:

وبدأ يتحقق النصر وكل هذا والشمس واقفة، تخيل الشمس على الغروب وظلت واقفة، ودخل يوشع ودخل بنو إسرائيل وبمجرد دخولهم القدس غربت الشمس، فسبحانه الذي بيده ملكوت كل شيء، وسبحان الذي يقول للشيء كن فيكون، إياكم أن تيأسوا والله سيعز دينه، والله سيعز الإسلام قريباً جداً، وإن شاء الله نكون نحن من هذا الجيل الذي رأى عز الإسلام ونصر الإسلام، والله سيعزنا عزًّا لا تتخيلونها... إياكم واليأس مهما كانت الدنيا مظلمة، واعلموا أن أكثر ساعات الظلمة هي الدقائق التي قبل صلاة الفجر، هذا أكثر

---

(1) أخرجه **ابن حبان** في «صحيحه» (الحديث: 5/ 529)، وأخرجه **عبد الرزاق** في «مصنفه» (الحديث: 2/ 52)، وذكره **الهيثمي** في «موارد الظمآن» (1/ 114).

وقت في الليل ظلمة وتزداد الظلمة بشدة في اللحظات التي قبل صلاة الفجر وكأن هذه سنة كونية.

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

فطرة منتكسة!

دخل سيدنا يوشع ودخل معه بنو إسرائيل لكن يبدو أن اليهود هم اليهود فلما كان داخلاً القدس قال لهم: اسجدوا وقولوا حطة؛ لأنه دخل القدس فهي ليست مثل أي مدينة، وهذه نعمة كبيرة أن الله اختارك لهذا الفتح فلا بد أن يكون هناك عبودية شديدة جداً، فقال لهم: حطة حطة يعني: يا رب حط عنا الخطايا يعني: كأنك تستغفر بلغة الإسلام، الحط عند اليهود، حط يا رب، مثل أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، هم يقولون حطة ـ حطة يا رب، حط عنا الخطايا ـ وإذا بمجموعة من بني إسرائيل يرفضون تنفيذ الأمر، تخيل بعدما رأوا الشمس واقفة ودخلوا فبدل من أن يدخلوا ساجدين فدخلوا زحفاً على أدبارهم يعني على المقعدة، ويضحكون ويستهزؤون من يوشع ويقولون: هذا سجودنا، هل أنت متخيل هذه النوعية، وبدأوا يقولون بصوت عال وهم يضحكون: حنطة حنطة، حبة شعير، حبة شعير، هو يقول لهم: قولوا حطة فزودوا عليها حرف النون ليقلبوها ضحكاً وبدأوا يقولون: حنطة حنطة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: 58، 59]، نزل عليهم طاعون شديد فقتل منهم عشرين ألفاً في يوم واحد، لكن هل رأيت نوعية اليهود؟ بعد كل الذي فعله الله لهم.

أتذرون أحسن الخالقين؟

ثم عادت لهم عادة غاية في السوء ألا وهي عبادة الأصنام، أتوا بصنم سموه: بعلاً وبدأوا يعبدونه فأرسل الله نبياً جديداً هو سيدنا إلياس عليه السلام، أو إل ياسين، يقول عنه الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات: 123 ـ 132]، لا يوجد عندنا في قصة إلياس شيء أكثر من هذا، لكن الشاهد هنا كيف أن هؤلاء الناس شاهدوا معجزة مثل هذه وفتح الله لهم المسجد الأقصى ثم يعبدون صنماً، ما هؤلاء؟ ما هي

نوعيتهم؟ الذي يعبد صنماً بعد أن رأى معجزة الشمس، انتبهوا أن هذه هي المرة الثالثة التي يفعلونها، المرة التي مضت كانوا قد رأوا معجزة فلق البحر وعبروا مع سيدنا موسى عليه السلام وأرجلهم ما زالت مبتلة من ماء البحر، فرأوا أناساً يعبدون عجلاً فقالوا لموسى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]، تصوروا لدرجة أن الله يقول: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: 93]، العجل تشرّب بداخل قلوبهم، مثل وضعك لإسفنجة في مياه فإنها ستشرب المياه، فقد دخل واستشرب في قلوبهم حب العجل، فلم يستطيعوا أن يعبدوا الله، هؤلاء قوم سيدنا موسى عليه السلام واليوم مع سيدنا إلياس عليه السلام وبنفس القصة، دخلوا على أدبارهم ورفضوا أن يقولوا حطة، ما نوعية هؤلاء اليهود؟ نحن سنجمع صفات اليهود في القرآن.

العماليق:

وظل الله يرسل نبياً وراء نبي، يقول النبيّ ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي**»[1]، فيقول لك: الأمة الوحيدة التي ما مر عليها يوم واحد بدون نبي بنو إسرائيل. كل الأنبياء أرسلوا إلى بني إسرائيل من أول سيدنا إبراهيم إلى سيدنا عيسى، ولم يمر أربعة وعشرون ساعة إلا ويأتي نبي، ويقول لك: لا تمر سنة إلا ويقتلون على الأقل عشرة أنبياء، لدرجة أنهم قتلوا ثلاثة أنبياء في آن واحد، لقد ذكرنا أنهم قتلوا يحيى وزكريا وحاولوا قتل سيدنا عيسى وهؤلاء من الأنبياء الكبار، فما بالكم بأنبياء كثيرين لم يقصصهم علينا الله تبارك وتعالى؟ وظل الأمر بهذه الصورة وهم بهذه الدناءة إلى أن سلط الله عليهم قوماً اسمهم: العماليق، عمالقة ضخام وبدأ العماليق يدخلون على بني إسرائيل ويقتلون فيهم قتلاً شديداً ويبيدون فيهم إبادة شديدة، ومن ضمن الأشياء التي قام بها العماليق أنهم أخذوا منهم شيئاً اسمه: التابوت، وهو صندوق من خشب، كان قد وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام عصاه التي فلقت البحر وفلقت الحجر وأكلت الثعابين بداخل التابوت وكان سيدنا موسى عليه السلام قد ترك ملابسه داخل هذا الصندوق وأشياء وأغراض لسيدنا هارون عليه السلام. فكان هذا الصندوق مباركاً، وكانوا يتباركون به، وكانوا كلما رأوا هذا الصندوق وهم في المعركة تتنزل عليهم السكينة، فينتصرون، فهذا التابوت كان به أشياء عظيمة ومن ضمن الأشياء التي كانت موجودة بداخله أيضاً الألواح الخاصة بسيدنا موسى عليه السلام التي كتبها الله تبارك وتعالى له. فكان هذا التابوت بالنسبة لهم شيئاً شبيهاً بالكعبة عندنا. فالعماليق

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3455)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 4750)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 2871).

أخذوا التابوت مثلما أخذ منا المسجد الأقصى شيء مشابه، شيء مقدس جداً من مقدساتهم أخذته العمالقة فأصبحوا في منتهى الذل.

أول من جمع بين النبوة والحكم:

لنرى ما قصة هذا التابوت وقصة العماليق، وظهور سيدنا داود عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 246]، شيء عجيب! لماذا ابعث لنا ملكاً لنقاتل في سبيل الله؟ كان من شريعة بني إسرائيل أن النبيّ لا يقود ولا يملك ولا يحكم، إنما النبيّ للنبوة، والملك لقيادة الجيش وسياسة الأمور، يعني: كان هناك فصل بين دور النبيّ كنبيّ وبين دوره في توجيه الناس، ولهذا يقولون له: ابعث لنا ملكاً، ولم يقولوا: تعال قاتل بنا، ابعث لنا ملكاً لنقاتل في سبيل الله، ***انتبهوا أن من وقت سيدنا موسى والنبوة مفصولة عن الملك وأول من سيجمع بين الملك والنبوة هو داود*** عليه السلام، هل علمتم لماذا يضعون في علمهم نجمة داود مع أن سيدنا موسى عليه السلام عندهم أغلى؟ وذلك لأن موسى لا يمثل الجمع بين الدين والملك، لكن هم يريدون أن يقولوا: إن دولتهم تجمع بين الدين والملك فاختاروا نجمة داود ليقولوا: نحن نتبع داود!

فتولوا إلا قليلاً منهم!

قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ [البقرة: 246]، نبيهم يشك في صدقهم، فقال لهم: لو فرض عليكم الجهاد وتخلفتم ستكون معصية شديدة وسيكون غضب الله شديداً وسيكون ذلك من أكبر الكبائر: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾، فأخذتهم الحماسة: ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾؛ لأنهم لم يكونوا مؤمنين؛ لأنهم لم يكونوا مجاهدين لأنفسهم، إياك أن تفهم أن معنى كلامي هذا أنك لن تعصي، هناك فرق بين إنسان يعصي ومستمر على المعصية، وإنسان يعصي ويتوب ويجاهد نفسه مرة ويرجع مرة ويتوب وهكذا، النوع الثاني مقبول، أما النوع الأول الذي ترك نفسه للمعصية ليلاً نهاراً فهذا لا ينفع.

يا شباب، إياكم أن تفهموا أن المفروض أن تكونوا معصومين لتصلحوا للنصر ولتحرير فلسطين، من يقول هذا؟ انما المطلوب أن تجاهد نفسك، أن تقاوم المعصية ليل نهار، ولا تستسلم لها، وتظل دائماً على المجاهدة.

المجاهدة تخرج الرجال، لكن الذي يترك نفسه يعصي ولا يجاهد نفسه أبداً، ضعيف

أمام شهوته فهذا لا ينفع، لا يمكن أن يختارك الله، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ﴾، العدد كان ثلاثين ألفاً تولوا لم يبق إلا ثمانية آلاف، كم ألفاً تولوا؟ اثنان وعشرون ألفاً لم يكونوا رجالاً، تولوا إلا قليلاً منهم، طبعاً رقم الثمانية آلاف رقم تقوله الروايات، لا يوجد عليه حديث أو آية في القرآن، فنزل من عددهم ثلاثين ألفاً إلى ثمانية آلاف، ما الذي جعلهم يتولون؟ حب الدنيا يا إخواني، ما مقدارها في قلبك؟ يا ترى أنت ستتولى؟ الذي لا يستطيع أن يأخذ القرار هل هذا يصلح أم لا؟ تنطبق عليه هذه الآية: ﴿تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾، اعرضوا أنفسكم، خاطب نفسك وافرح بنفسك، أنا لا أريد أن أقول لكم: أنتم لا تنفعون بالعكس أنتم الأمل، أنتم لو لم تنفعوا إذن لا يوجد فائدة، إذن أمامنا مائة سنة، طبعاً هناك فائدة فيكم لكن أرجوك تزود بالمجاهدة، حتى يجد الله رجالاً لما يأمر، وأقف بين يدي الله وأقول له: يا رب، أنا مجاهد لنفسي هل سأنفع أن أكون معهم يا رب؟ اجعله حلم حياتك، ﴿تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ﴾، فهذا أول سبب للتولي فهم يتساقطون لأسباب مختلفة، الأولون تساقطوا لحب الدنيا.

إياك أن يسقطك الكبر:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾ [البقرة: 247]، لماذا طالوت؟ طالوت لا يعجبهم لأنه رجل بسيط، لكنه كان يتمتع بقوة جسدية وعقلية، وكان مؤمناً موصولاً بالله، لكن هم عندهم كِبر، عندهم حب مظاهر ليس أي أحد يقودنا، عندهم حب الرئاسة، فصفة الكبر أودت بهم، هل عندك كِبر؟ عندك بعض الكبر! لا تنفع، لا تصلح.

كِبر وإعراض:

نزل عددهم من ثمانية آلاف مثلما تذكر الروايات: نزلوا إلى ثلاثة آلاف، كم تبقى من الثلاثين ألفاً؟ ثلاثة آلاف، يا ترى أنت وقعت أم لا؟ أنت من الثلاثة آلاف، هل ستفتح القدس هل ستدخل أم لا؟ فنزلوا نزلوا نزلوا إلى ثلاثة آلاف، فالله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوۤاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾، انظر الكبر: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ حب المظاهر: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247]، انظر الآية التي تليها ماذا تقول: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: 248]، ماذا أقول لكم لأدلل أن الله هو الذي اختار هذا الرجل الذي يصلح فعلاً؟ قالوا: هات لنا دليلاً، قال لهم: سيرجع لنا التابوت، فتأتي الملائكة تأخذ التابوت من عند

العماليق وتحمله ثم تنزله بين يدي طالوت، لو أنك رأيت هذه المعجزة هل ستؤمن أم لا؟ تخيل هل يوجد أحد بهذه القسوة؟ الذي يفعل هذه المجازر في فلسطين هل يكون إنساناً طبيعياً؟ هل هو بشر؟ الذي يقتل أطفالاً ونساء هل هو من البشر الذي يهدم بيتاً على أناس بداخله هل هذا بشر؟ يبدو أن الصورة متكاملة، انظر ماذا تقول الآية: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، آية مبهرة نحن يا مسلمين رغم أننا لم نر ربع الآيات التي رآها بنو إسرائيل، ومع ذلك أملنا كبير، هل شعرتم برحمة الله علينا؟ والله نحن أمة غالية على الله تبارك وتعالى، نحن لم نر هذه المعجزات المبهرة، لم نر بحراً يقسم نصفين ولم نر شمساً تقف، ولم نر ملائكة تحمل تابوتاً وتحضره لنا، ومع ذلك نؤمن بمقدرة الله ﷻ فكيف لا يؤمن هؤلاء الناس؟

من يحرر فلسطين؟

وبقي ثلاثة آلاف وذهبوا مع طالوت: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ [البقرة: 249]، بدأ سيدنا طالوت يتحرك بجيشه لكن ما زالت مجاهدة النفس غير عالية، يوشع قال لهم: ثلاثة لا يذهبون معي، وطالوت هنا فعل شيئاً مشابهاً كأن الموضوع أن الذي سيفتح فلسطين عنده صفة، بل صفتان أساسيتان هما: حب الله هو الذي يملأ قلبه وليس حب الدنيا، ومجاهدته لنفسه عالية، هل تنطبق عليك هاتان الصفتان؟ قل: إن شاء الله سأتمتع بهما، ***فيا شباب الضعيف أمام شهوته لن يحرر فلسطين، هذا الكلام بمنتهى الوضوح، فالذي لا يستطيع أن يقاوم شهوته، لن يفتحها.***

هما شرطان لو أصبحا فيك ستكون من الجيل الذي سيفتح القدس، **أولاً**: الدنيا عندك أغلى أم الله؟ **ثانياً**: هل تجاهد نفسك أم أنك ضعيف أمام شهواتك؟

أنت ضعيف، إذن لا تنفع، فلما فصل طالوت بالجنود أراد أن يختبر مجاهدة النفس، ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ [البقرة: 249]، الذي سيشرب يرجع، هل الشرب حرام؟ لا ليس حراماً لكنه يريد أن يعرف هل أنتم مجاهدون لأنفسكم أم لا؟

مكر ودهاء:

قال تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾، أنا أريد أن ألفت نظركم لشيء قال: فمن شرب، وفي الثانية قال: ومن لم يطعمه، كان المفروض أن

يقول: ومن شرب منه فليس مني ومن لم يشربه فإنه مني، لماذا قال: «يطعمه» مع أن هذه مياه تشرب، ما الذي أتى بالطعام؟ لأنهم من خبثهم! كانوا يضعون أكلهم في المياه فيخرج مليئاً بالماء فيشربونه بالأكل، انظر لنوعيتهم مثل قصة أصحاب السبت: نفس التفكير ونفس الطريقة، جدل شديد اعتراض ونفاق، مثل قصة البقرة، قيل: اذبحوا بقرة قالوا: ما لونها؟ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67]، كلمة بقرة أتت بدون ألف ولام: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [البقرة: 68]، ثم ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ [البقرة: 69]، ثم: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: 70، 71]، ضيق عليهم جداً فاضطروا أن يذبحوها لأنها أصبحت بقرة واحدة لا مفر، هل رأيت الجدل؟ لهذا قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾؛ لأنهم كانوا يحولون الطعام ويدخلونه مع الماء ليشربوا أكثر، هؤلاء ليسوا أناساً مجاهدين، هؤلاء لا يصلحون، يتمايلون على أوامر الله، يخادعون الله وما يخدعون إلا أنفسهم... لو أنك تفعل هذا يعني كأن تطلب فتاة على الهاتف وتقول: هي التي تطلبني ولست أنا، فإياك أن تتحايل على الله، إياك أن تقلد بني إسرائيل.

ليس بالعدد الكثير:

قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، وتبقى من الثلاثة آلاف ثلاثمئة وثلاثة عشر... من ثلاثين ألفاً في البداية، ثلاثمئة وثلاثة عشر هل تتخيّل! يروي البخاري عن البراء بن عازب ﷺ يقول: كنا نعد أصحاب رسول الله ﷺ في غزوة بدر كأصحاب طالوت وداود عليه السلام عند فتح المسجد الأقصى، نفس العدد ولذلك انظر للآية: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾، قال: من ضمن الثلاثمئة وثلاثة عشر: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 249]، هؤلاء هم الذين سيكون منهم النفع وبهم النصر، يا ترى هل ستكون أنت من هؤلاء الثلاثمئة وثلاثة عشر؟

أعد نفسك بقيام الليل وصلاة الفجر، انتبه للفجر وصل في المسجد، انزل للفجر ستحس أنك مجاهد، والله ان صلاة الفجر هي الميزان أن تصطلح أم لا؟

لو مرّ أسبوع وأنت لا تصحو للفجر ولا تنزل لتصلي في المسجد اعرف أنك لست من أهل الفتح والنصر، واعرف أن الموضوع لو استمر بهذا الشكل فأنت في منتهى الخطورة، واعرف أن الذين نزلوا هم الثلاثمئة وثلاثة عشر الذين سيذهبون أما أنت فلا، فلا بد إن كان

مضى عليك شهر واثنان وثلاثة أن تبكي على حالك، ابكِ على حالك مع صلاة الفجر... هذا لمن يريد أن يجاهد نفسه؛ لأن الذي يصحو للفجر لم يعص بالليل، والذي استيقظ لصلاة الفجر فالله وهمّ رضاه أمرٌ صاحٍ في ضميره: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، كلمة «كم» هنا تقصد الكثرة والمقصود أنها حدثت كثيراً جداً، في بدر كم كان عدد المسلمين؟ ثلاثمئة وثلاثة عشر، والكفار كم؟ تسعمئة وخمسون، وفي أُحد المسلمون كم؟ سبعمئة، والكفار كم؟ ثلاثة آلاف، وفي الخندق المسلمون ألف ومائتان والكفار عشرة آلاف، في اليرموك المسلمون ستة وثلاثون ألفاً والرومان مائتا ألف، وفي مؤتة المسلمون ثلاثة آلاف والرومان مائتا ألف.

إذن الموضوع ليس موضوع عدد، الآية التي بعدها تقول: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا﴾ [البقرة: 250]، إذن الدعاء من شروط الناس الذين سيحررون فلسطين، العلماء يقولون لك: لم يرد ولم نسمع أن أحداً فتح هذه الأرض المقدسة إلا وهو محب للدعاء: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾، نحن محتاجون أن ندعو بهذه الدعوة من كثرة الفتن التي حولنا، ادعُ: يا رب، الصبر، يا رب صبرنا وأبعد عنّا الفتن، ألهمنا الصبر على طاعتك.

انظر ترتيب الدعاء: في الأول صبّرنا، ثم ثبتنا، ثم انصرنا، وهذا هو الترتيب المنطقي: تصبر تثبت تنصر، ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: 251]، ومن هنا ظهر سيدنا داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾، أول نبي يجمع الله له بين الملك والحكمة.

وبذلك أكون قد انتهيت من صفات الجيل الذي سينصر واستفدنا منه ببعض الأشياء:

أولاً: إياك وحب الدنيا، املأ قلبك بحب الله.

ثانياً: إياك والكِبر.

ثالثاً: لا بد من مجاهدة النفس.

نجمة داود:

سيدنا داود عليه السلام هو أول نبي وملك في بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

اختار اليهود أن يضعوا في علمهم خطين أزرقين إشارة إلى النيل والفرات، كأنهم يقولون: نحن حدودنا في هذا العلم، أبيض وفيه خطان أزرقان خطا النيل والفرات والنجمة واصلة بينها.

ما هو هدفك؟ وماذا تريد؟ لا تعرف! لكن هم نجحوا، هم يعرفون ماذا يريدون، هو يعلم ماذا يريد وأنت لا تعلم، أليس كذلك؟

اياك ان تعيش بعد اليوم بدون هدف في الحياة، اياك ان تعيش في الدنيا هباءً، لكن قل: انا عندي طموح، لدي حلم اريد ان احققه في حياتي.

خليفتان:

سأذكر نقطة عجيبة جداً، ألا وهي أن الله تبارك وتعالى لم يقل: إن هناك خليفة في الأرض غير اثنين هما آدم وداود، مع آدم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، هذه خليفة الأرض كلها، وداود عليه السلام كان أول خليفة على بني إسرائيل: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: 26]، لم تأت كلمة خليفة إلا مرتين في القرآن، لكن هل تصدقون أن خلافة داود ومن بعده سيدنا سليمان لم تدم لبني إسرائيل إلا مائة سنة فقط؟ وهي فترة حكم سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام وبموتهما اختفت هذه الخلافة وصار بنو إسرائيل أذل الناس لأنهم عصوا الله.

أرض الميعاد:

بمجرد موت سليمان عليه السلام يقول الله تبارك وتعالى يصف هذا الأمر: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: 167، 168]، من وقت موت داود وسليمان عليهما السلام، لم يصبحوا مملكة موحدة، ونزل على سيدنا داود الزبور، وكلمة الزبور جاءت في القرآن ثلاث مرات: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163]، لكن سنلاحظ شيئاً عجيباً جداً، أننا لا نعرف ما المكتوب في الزبور؟ القرآن لم يقل إلا كلمة واحدة، هذه النقطة مهمة جداً وستفهم منها أموراً كثيرة، ربما لم تفهمها ولا عرفتها من قبل. هم يقولون: إن فلسطين أرض الميعاد لتعرف أن هذا القرآن معجزة ربانية، هل هم كانوا أيام النبيّ ﷺ يقولون أرض الميعاد؟ لا هذه الكلمة جديدة بهذه الحكاية. ذكر القرآن أن الله أنزل على سيدنا داود الزبور ولم يأت بأي شيء ثان حتى تعرف أن محمداً ﷺ نبي، فمن دلائل النبوة هذه الآية، هو لا يعرف أنهم سيقولون أرض الميعاد، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ

﴿كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: 105]، هم يقولون: إن هذه الأرض ملك لنا بصفاتنا وجنسنا من بني إسرائيل بغض النظر هل نحن مؤمنون أم لا، الكل يقول: هذه أرض الميعاد، أما الزبور فيقول: إن الأرض يرثها عبادي الصالحون، الأرض للمؤمنين فقط، هل تذكرون قولنا أن هذه الأرض هي ميزان الإيمان، والآية يفهم منها ذلك، هل الزبور قال: فلسطين ملك لكم؟ لا بل قال العكس، قال: إن المؤمنين هم المسؤولون عن فلسطين يعني: كأن النبيّ قال هذه الآية قبل أن يقولونها هم.

سؤال وأريد جواباً:

وأسأل سؤالاً: إذا كانت فلسطين أرض الميعاد فلماذا لم يذهب اليهود إليها منذ القدم؟ هل منا من فكّر في هذا الحكاية! إذا كانت هي أرض الميعاد، فلماذا يهود خيبر الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية تركوا أرض الميعاد وعاشوا في الصحراء؟ لنر ما هي هذه الحكاية، إذن سيدنا داود وسليمان عليهما السلام لم يقولا: إن هذه هي أرض الميعاد، فالله يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴿١٠٥﴾﴾، وسيدنا موسى قال نفس الكلام: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: 128]، الأرض للمتقين. أما كلمة أرض الميعاد هذه فيقولون: إنه بصرف النظر هل هم مؤمنون أم كفرة أم منحرفون هي أرضنا وملكنا بصفتنا من جنس اليهود، لهذا نحن نقول عنهم: عنصريون؛ لأنهم يقولون: خاصة بجنسنا أما كتبهم السماوية فلا تقول ذلك.

من أين جاءت هذه الفكرة؟

ويقولون أيضاً: إن أرض الميعاد هذه كان من لا يدفن فيها من اليهود يظل جسده يصرخ إلى أن يدفن فيها، إن اليهودي الذي يعيش في أرض الميعاد مغفور له، أما الذي يعيش خارج أرض الميعاد فكأنه يقول: ليس لي إلٰه، من أين جاء هذا الكلام طالما داود لم يقل ذلك ولا سليمان ولا موسى؟ وطالما أن يهود المدينة لم يفعلوا ذلك فمن أين جاءت هذه الفكرة؟

أساسنا وأساسهم:

يا إخواني، أي حضارة في الدنيا تقوم على فكرة صغيرة بمعنى: أن حضارة الغرب قامت على فكرة النشوء والارتقاء، نظرية داروين: أن الإنسان أصله قرد، فبنوا كل علومهم

طبعاً على هذه الفكرة هي فكرة صغيرة لكن بني عليها كل الأفكار مثل علم النفس في الغرب الذي أسسه فرويد، وهو يهودي الأصل، يقول: إن الذي يحكم العلاقات الإنسانية ـ هذا في علم النفس ـ هو غريزة الرجل للأنثى، والذكر للأنثى، العلاقات الجنسية هي التي تحكم كل تصرفات البشر، من أين أتى بها؟ من فكرة الحيوانية، وأن الإنسان أصله قرد فكان منها أن الغرائز هي التي تحكم العلاقات الإنسانية، أما علم السياسة عند الغرب وفق مبدئه: لو تقدر عليه اذبحهم، سياسة القوة التي هي سياسة الغابة، أتت من أن الإنسان أصله قرد، شريعة الحيوانات شريعة الغابة فظهرت كل النظريات الكبيرة من هذه الفكرة، وللإسلام أيضاً فكرة صغيرة قامت عليها كل نظريات الإسلام، هذه الفكرة الصغيرة هي أن الله خلق الكون، إن أطعته وكنت صالحاً أدخلك الجنة وإن عصيته وكنت فاجراً أدخلك النار، كل علوم الإسلام خرجت من هذه الفكرة، كل العلوم وعلم الاقتصاد في الإسلام قائم على أنه لا يجوز أن تأكل مالاً حراماً لماذا؟ لأنك لو أكلت مالاً حراماً أفسدت حياة إنسان آخر فتدخل النار، في الحرب لا ينفع أن نغير على قوم في الليل حتى لا نفزع النساء والأطفال؛ لأننا نريد أن ندخل الجنة ولا نريد أن ندخل النار، فبقيت هذه الفكرة التي هي قائمة عليها هذه النظرية.

الخديعة:

نأتي إلى الصهيونية أنا ضربت مثل الغرب ومثل الإسلام لنفهم.

والصهيونية قائمة على فكرة أرض الميعاد وأنه يجب أن نعود لأرض الميعاد ونتجمّع هناك إلى أن يبعث المسيح فنقاتل معه الناس في آخر الزمان فتقوم الساعة عليها هناك، هذه هي الفكرة التي أسسوا عليها كل كلامهم، تخيل فكرة قام عليها كل ما يفعلونه بنا، كل الذي يحدث إلى اليوم قائم على هذه الفكرة، وأسأل: هل هذه الفكرة أصلية في دينهم؟ هذه الفكرة ليست أصلية ولم يأت بها موسى ولا داود ولا سليمان عليهم السلام، هم منذ خمسة آلاف سنة لم ينادوا بها، تخيلوا كل أجيال اليهود تعيش في مكان واحد في الأرض لكن هناك يهوداً لا ينادون بها، ألا تعلم أن هناك يهوداً في أوروبا وفي بلادنا العربية، لماذا لا ينادي هؤلاء بأرض الميعاد؟ الموضوع فيه سرّ، ليس مجرد فكرة دينية، الموضوع موضوع فكرة سياسية، اليهود كان عندهم مشكلة في القرن التاسع عشر من حوالي مئتي سنة من الآن، هذه المشكلة هي التي جعلتهم يحرفون التلمود ويضعون فيه أن أرض الميعاد هذه شيء أساسي في دينهم.

الدافع إلى الهجرة:

هم كان عندهم مشكلة فبدأوا يحرفون، أراك تسأل: هل يعقل أن يحرفوا شيئاً موجوداً منذ آلاف السنين؟ نعم، أليسوا هم من حرفوا كل الكتب السماوية لماذا لا يحرفون هذا إذن؟ فبدأوا يضيفون نصوصاً داخل التلمود، هذه النصوص جعلت اليهود يقتنعون بهذه الفكرة؛ لأن عندهم مشكلة يريدون أن يحلوها، فبدأوا يحرفون ويضعون أموراً لم تكن موجودة لمدة خمسة آلاف سنة، ونسأل: ما هي هذه المشكلة؟ في القرن التاسع عشر كان اليهود في أوروبا الشرقية التي هي بولندا والمجر مضطهدين بشدة، وكانوا أقلية ناجحة، أنتم تعلمون أنهم متفوقون باستمرار فكانوا مسيطرين على التجارة، ناجحين ومتفوقين تفوقاً غير عادي، والمسيحيون الأرثوذكس كلما وجدوا اليهود يتقدمون يضربونهم ويعيدونهم إلى القاع مرة أخرى، فيتفوقون ثانية فيرجعونهم إلى القاع وظل الأمر هكذا.

فكرتان:

فبدأ اليهود يفكرون في فكرة إلى متى سنظل في هذا الوضع؟ وظهرت أمامهم فكرتان، هذا ما حدث بالضبط، الفكرة الأولى: قالوا: إن المسيحيين في أوروبا الشرقية متعصبون فماذا نفعل؟ نفعل أمرين: **الأمر الأول**: نخفف هذا التعصب فنادوا بفكرة اللادين (الشيوعية) هم الذين أسسوها. فظهر ماركس اليهودي ليقول: الدين أفيون الشعوب، إذن الأفضل ألا يكون هناك دين، انتبهوا إلى أن أكثر مكان موجود فيه الشيوعية في العالم كله هو أوروبا الشرقية، فالفكرة انطلقت من هناك وهم عندهم مشكلة ويريدون أن يحلوها، فبدأوا يقنعون أوروبا الشرقية وروسيا أن اللادين أفضل وبدأ ماركس بذكائه بترويج هذه الفكرة.

ونجحت الخديعة!

ثم نادوا بفكرة ثانية: هل سنظل مضطهدين بهذا الشكل؟ وإلى متى سنبقى هكذا؟ نذهب لوطن مستقل نعيش فيه بمفردنا وننجح فيه بمفردنا ونكبر فيه بمفردنا، وكانت المشكلة كيف سنقنع اليهود في العالم كله بالذهاب لهذا الوطن؟ كيف يتركون أوروبا الجميلة ويذهبون إلى أرض صحراوية لنجعلها وطناً لنا وتساءلوا: ما الشيء الذي ربما يؤثر في اليهود؟ الدين، تخيلوا! هم فعلوا فكرتين واحدة تلغي الدين والثانية تستخدم الدين، تخيل الخطتين نجحتا، وكل ما أرادوه نفذ ـ أنا فقط أريد أن أعلمكم أن الذي يريد أن يفعل شيئاً سيفعله هذه هي بداية الموضوع، وكان يجب أن أعرض هذا حتى نعلم كيف تسير الدنيا من حولنا ـ وبدأوا يبحثون عن مكان ليكون لهم وطن، هذا الكلام ثابت تاريخياً فقالوا: أوغندة، الذي أسس هذه الفكرة واحد اسمه: تيودور هرتزل يهودي، فذهب هرتزل وزار أوغندة

فوجدها سيئة جداً، قال: لا لن يرضوا أن يأتوا إلى هنا ثم إنه لا يوجد في تاريخنا أي جزء يتكلم عنها لنضعها لهم ولنضحك على اليهود ونقول لهم: إن هذه هي أرض الميعاد، فبدأوا يفكرون: ألم يكن لنا أصل في فلسطين؟ أعرفتم كيف جاء الموضوع؟ هو ليس ديناً وإنما هو جاء حلاً لمشكلة عندهم، وكان هذا الحل بأن بدأوا بتحريف التوراة والتلمود ووضعوا نصوصاً منها: أن الجسد الذي سيدفن خارج إسرائيل يصرخ حتى يوم القيامة، ثم روج هرتزل هذه النصوص ليقنع اليهود أن يتركوا أوروبا الجميلة ويأتوا إلى فلسطين، وساعدهم الغرب في ذلك ساعدتهم أوروبا الغربية وأمريكا؛ لأنهم خائفون أن يهاجروا إليهم فبدل أن يهاجروا إليهم يساعدوهم على أن يذهبوا إلى مكان آخر.

أرأيت كيف أتى الموضوع ـ هو ليس ديناً ـ ثم بدأوا يأتون إلى بلادنا، ووضعوا وخططوا ولفقوا الأكاذيب والأفكار ليقنعوا الجيل الجديد من الشباب بهذه الفكرة فقالوا: نحن مضطهدون، نحن نباد في الأرض لهذا يجب أن نتجمّع ثم يقولون: إن هتلر أباد وقتل منا الملايين، بالمناسبة فكرة إبادة هتلر لليهود يقال: إن هذا كلام وهمي ليس له أصل، ويعملون أفلاماً ومسلسلات لتسخين شبابهم، من زاوية عقدة الاضطهاد، نحن مضطهدون في العالم كله، هتلر فعل فينا وفعل وفعل وغير ذلك من القصص الوهمية التي يلفقونها.

ومارسوا دور الله:

أتعلمون أعظم معصية في العالم، أنهم لم يكتفوا بتحريف الكتب السماوية، وبقتل الأنبياء، بل قاموا بأفظع من ذلك بأن مارسوا دور الله والعياذ بالله، أليس الله هو مقسم الأرزاق؟ ومن ضمن تقسيمه للأرزاق أنه قسم توزيع الناس في الأرض، أفريقية يسكنها الناس ذو البشرة السمراء، وآسيا يسكنها الصفر، وأوروبا يسكنها الناس البيض، حكمة الله في الكون، هذا توزيعه في خلقه، وتقسيمه الذي ارتضاه للكرة الأرضية، فلما تأتي أنت وتخرج شعباً من أرضه وتطرده وتضع مكانه شعباً آخر بالقوة، إذن أنت مارست دور الرب، وهذا ما فعله اليهود هم يريدون أن يطردوا شعباً بأسره ليجلبوا مكانه أناساً.

هل باع الفلسطينيون أرضهم؟

هم الآن يريدون أن يدخلوا هذه الأرض فكان عليهم أن يشتروا هذه الأراضي من إخواننا في فلسطين، تبيع لي هذه الأرض، أمر جنوني، هل تبيع لي هذه الأرض، فماذا فعلت الناس؟ إياكم أن تصدقوا أن الفلسطينين باعوا أرضهم، إنها أكذوبة، شاهدت رجلاً فلسطينياً كبيراً في العمر (مئة سنة)، على شاشة التلفاز يقول: جاءه يهودي وعرض عليه أن يبيع أرضه بأي ثمن ولكنه رفض رفضاً باتاً، حتى أن اليهودي قال له: أنا مستعد أن أدفع

شيكاً على بياض وضع أنت الثمن الذي تريده مقابل أن تترك هذه الأرض فرفض، فقال له اليهودي: ماذا تريد لتترك الأرض؟ فقال: أعطيك ورقة بيضاء تمر بها على كل مسلم في الأرض يوقع اسمه عليها أنه تنازل عن فلسطين، فلسطين ليست ملكي بل هي ملك كل المسلمين، لو أحضرت لي هذه الورقة لا أريد منك أي مليم طالما المسلمون تنازلوا عن أرضهم، فلسطين ملك لنا جميعاً يا إخواني.

وكانت المجازر:

فلما وجدوا صعوبة هذا الأمر بحثوا عن شيء آخر لجأوا إلى القتل بمذبحة «دير ياسين»، يدخلون القرية فيقتلون كل ما فيها بالكامل يذبحون القرية ويتعمدون بالذات الأطفال الرضع، يذبح الطفل الرضيع ويلقى به أمام القرى الأخرى، فبدأت الناس تأخذ أغراضها وتهاجر وإلا سيموتون، فطردوا الشعب الفلسطيني واحتلوا أرضهم.

اليهود رسل الشيطان:

لكن هل تصدقون أن الذي حرك كل هذه الدنيا وكل هذه المصائب هو الشيطان حيث استخدم اليهود أفضل استخدام، تقول الملائكة لله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: 30]، أمرين: يفسد ويسفك، فالشيطان يريد هذين الأمرين، الشيطان يريد أن تملأ الأرض بالفساد وإراقة الدماء، ماذا يريد هو أكثر من هذا؟ هذه هو الهدف، أرض تدمر وتملأ بالفساد فمن تستخدم غير الشيطان ليدبر لك ما تريد؟ اليهود، فعندما تنظر إليهم تجدهم هم أساس الفساد في الأرض، صالات القمار في العالم، كل مواقع الإنترنت الإباحية وكل الشبكات والمحطات الفضائية الإباحية وبيوت الأزياء العالمية، كل شبكات الدعارة العالمية، كل هذه الأشياء هم الذين وراءها هذا الجزء الخاص بالفساد، أما في إراقة الدماء ففكر الشيطان في فكرة خبيثة تقضي على السلام في الأرض، وتجعل إراقة الدماء بالملايين، فكرة ذهابهم إلى فلسطين.

إن الشيطان هو من وراء هذا المخطط، ولذلك نحن لا نحارب اليهود وإنما نحارب الشيطان، نحن نريد أن نقضي على سيطرة الشيطان على الأرض. يا ترى هل استوعب ذهنك هذا الكلام؟ أرأيت الرؤية؟ أنا أريد أن أوضح لك الرؤية في عينيك، الموضوع موضوع أن الشيطان يريد أن يقضي على السلام في الأرض، نحن دعاة السلام والشيطان يريد أن يقضي على السلام في الأرض، فاستخدم اليهود لإراقة الدماء.

صفات اليهود في القرآن:

ولنعدد صفات اليهود في القرآن وأنا سأذكر لكم هذه الصفات لتعرف عدوك ولن أتكلم بلساني بل بكلام رب العالمين، اسمع كلام الله ﷻ:

الصفة الأولى: نقض اليهود العهود، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [البقرة: 100]، ويقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: 13]، ويقول: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنفال: 56].

الصفة الثانية: الخيانة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾، يعني: على طول الخط سترى خيانتهم: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾، بمعنى: دائماً.

الصفة الثالثة: تحريف الكتب السماوية، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75].

الصفة الرابعة: قتل الأنبياء، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: 70]، على فكرة لقد حاولوا قتل النبي ثلاث مرات، لا أحد حاول أن يقتل النبيّ ثلاث مرات إلا هم، لدرجة أنهم مرة وضعوا له السم في شاة مسمومة، فالنبيّ ﷺ أكل منها، حدثته الشاة أنها مسمومة فتفلها النبيّ ﷺ، لكن كان قد مضغ منها مضغتين، فالنبيّ وهو يموت بعد هذه الحكاية بخمس سنين تقريباً، قالت أمّ مبشر للنبيّ ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ما تُتّهم بك يا رسول الله، فإني لا أتهم بابني إلا الشاة المسمومة التي أكلها معك بخيبر، وقال النبيّ ﷺ: **«وأنا لا أتهم بنفسي إلا ذلك، فهذا أوان قطع أبهري»**[1]، ولذلك يقول الواقدي: إن لنا مع اليهود ثأراً أعظم من ثأر الأرض لقد حاولوا قتل نبينا ثلاث مرات.

الصفة الخامسة: قتلهم المتعمد لكل مصلح يريد أن يأخذ بيد الناس إلى الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 21].

الصفة السادسة: سوء أدبهم مع الله، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة: 64]، أي: الله بخيل تعالى الله عن هذا، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 4513)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 3546).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران: 181]، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: 24].

الصفة السابعة: الجدل الشديد.

الصفة الثامنة: الجبن الشديد يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: 14]، ويقول أيضاً: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: 96].

الصفة التاسعة: قلوبهم شديدة القسوة لم يخلق الله تبارك وتعالى أناساً تمردوا فصاروا بهذه القسوة مثل اليهود، يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: 74]، ويقول: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: 88].

الصفة العاشرة: شدة كراهيتهم للمسلمين: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة: 82].

الصفة الحادية عشرة: اتباعهم السحر واستعانتهم بالجن والشياطين.

الصفة الثانية عشرة: ترويجهم للإشاعات الكاذبة، انظر ماذا يقولون: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: 80]، نحن سنعذب في النار سبعة أيام فقط، ثم ندخل الجنة وأما باقي الناس فيسظلون يتعذبون في النار، ومن الإشاعات الكاذبة أيضاً: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ [المائدة: 18].

الصفة الثالثة عشرة: حرصهم على إيقاد الحروب والفساد في الأرض يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ﴾ [المائدة: 64].

هل رأيتم كم صفة فيهم؟ أنت متضيل، هل هناك من يجتمع فيه كل هذه الصفات السيئة؟

لماذا نعادي اليهود؟

الحقيقة لم يتبق لنا غير أمرين أولاً: ماذا نريد نحن من اليهود؟ وذلك لمزيد من الرؤية الواضحة، هل نريد أن نبيدهم، لا، اليهود هم أهل كتاب مثلهم مثل المسيحيين لهم ما لنا وعليهم ما علينا؛ لأنهم أهل كتاب وأهل ذمة ونحترمهم، لكن مشكلتنا مع اليهود ليست أنهم يهود، مشكلتنا مع اليهود أنهم أخذوا أرضنا، أنهم أخذوا مقدساتنا وذبحوا إخواننا نحن

مشكلتنا ليست مع الديانة اليهودية، المشكلة مع الذي احتل أرضنا.

ولن أنام الليل حتى أعيد أرضي وأعيد قدسي وأنصر إخواني هذه هي قضيتنا معهم.

هل تتوقع أننا سننتصر عليهم؟ نعم سننتصر؛ لأن الأجيال القادمة منهم سيكونون ضعفاء، لأنهم أسسوا بلادهم وأقاموها على الباطل؛ لأن قصة أرض الميعاد هذه قصة وهمية، النصر قريب نحن نزداد حماسة وهم يزدادون ضعفاً، شبابهم الآن يقول: لماذا نحن هنا؟ لماذا نموت؟ ما حكاية أرض الميعاد هذه؟ نحن غير مصدقين هذا الكلام، وشتّان بين الذي يتمنى أن يموت في سبيل الله والذي يريد أن يعيش، هل عرفتم لماذا النصر قريب؟

والله يا إخواني النصر قريب، لكن عليكم بالمجاهدة، مجاهدة النفس.

انتبهوا أن الجيل الذي يقودهم الآن هو الجيل الذي جاء من أوروبا الشرقية من هولندا، لكن هذا الجيل الجديد خرج من هناك في فلسطين، فأتى ويتمنى أن يعود لأوروبا ليجلس في مكان جميل، لماذا أنا أموت؟ لماذا أنا خائف؟ ونحن نزداد قوة وقوة، ***اذن وانت مغمض عينيك سيأتي النصر للإسلام، ماذا يبقى؟ هل أنت جاهز؟ هل أنت مهيأ، النصر قريب، لتكن لك النية الصادقة. بالله عليك، صلاة الفجر لا تضيعها، قيام الليل ولو يومين أو ثلاثة في الأسبوع، لو تفعل معصية حاول أن تقاومها، وانتِ حجابك يجب أن يكون كاملاً بعيداً عن مستحضرات التجميل والسراويل الضيقة، وعلينا أن ناخذ بايدي أصحابنا ونوقظ من حولنا.***

يا شعوب العالم احذروا:

كلمة أخيرة لشعوب العالم كله، ولكم أيضاً نقول: يا شعوب العالم، يا مسيحيين، يا أهل الأرض، تسمعون عن قوم نوح؟ تعرفون كيف أغرقوا؟ تسمعون عن قوم لوط وقوم صالح؟ تعرفون كيف كان الهلاك ينزل عليهم دائماً؟ وكيف كان ينزل عليهم في منتهى القسوة، الأرض تهلك من غضب الله عليهم، انظروا يا شعوب العالم، يا أهل الأرض: عندما غضب ربنا في عهد سيدنا نوح ماذا حدث؟ ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ - ماء من فوق وماء من تحت - عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: 11، 12]، وأغرقت الكرة الأرضية كلها إلا سفينة نوح، قوم هود أهلكوا بريح صرصر عاتية تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، ترفع الرجل وتحمله من الأرض وتنزعه مثل النخلة لما تنزع من جذرها من الأرض، ثم تلقى به فيغرس جسمه في الأرض مثل النخلة المقلوبة، أتعلمون كيف أهلك قوم لوط؟ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [هود: 82]، يأتي

سيدنا جبريل عليه السلام ويرفعها ويصعد بها على جناحه، القرية كلها، على جناحه يصعد بها إلى السماء إلى أن يقول: إن أهل السماء سمعوا نباح كلابهم وقلبها على وجهها فدفنوا في التراب! ما هذا الغضب؟ إنه غضب الله عندما ينزل!

يا شعوب العالم أتعلمون متى ينزل الهلاك؟ الله يمهل ولا يهمل؟ متى تأتي اللحظة التي يحدث فيها غضب؟ لما تحدث معصية، أو مجزرة أو فساد أو قتل ويرضى به أهل الأرض كلهم، يجب أن يحدث الهلاك، إذا رضيت الأرض كلها بالمعصية، لا بد أن يحدث الهلاك، هذه سنة ربنا في الإهلاك، هناك كارثة ستحدث على الأرض لو ظل العالم يتفرج، ليست هذه دعوة للثورة، ولا دعوة على فعل عمل تخريبي، إنما هي دعوة على فعل عمل إيجابي، تبرع بدمك، قاطع، أيقظ أصحابك، خذ بأيدي الناس، عندها ستكون قد قمت بواجبك كمسلم.

حلاوة القرب من الله:

فلنرى كيف كان سيدنا داود عليه السلام يعبد الله عز وجل ونتحسر على حالنا. فالأيام تتوالى والحياة والمادة يشغلان كل حياتنا. والصلاة لم تعد تُصلّ وقيام الليل سقط منها والذكر أصبح قليلاً، ومرت شهور لم نقل فيها أذكار الصباح والمساء. قال أحد العلماء: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة فقالوا له: وما هذه الجنة؟ قال: جنة ذكر الله والقرب من الله عز وجل. الذي لم يذق حلاوة القرب من الله في الدنيا لن يذقها في الآخرة. سيدنا داود عليه السلام يذكرنا بالحقيقة وبكل هذه المعاني ويجعلنا نتألم. لماذا نحن مقصرون؟ يا ترى كم صلاة نصليها في المسجد؟ هناك أناس لا يصلون في المسجد. متى كانت آخر مرة كنت خاشعاً فيها لله؟

يقول أحد التابعين: يمر بي أوقات أقول لو أن أهل الجنة يحسون بما أحس به الآن من حلاوة القرب من الله لكفاهم، هل مر عليك شيء مثل ذلك؟ هل قلت لنفسك: هذه الحلاوة التي أنا فيها لو أن أهل الجنة يحسونها فهذا يكفي.

رؤيا عجيبة:

روى أحد الأشخاص فقال: أنا كنت قريباً من الله وخشوعي كبيراً لكن بعدما تخرجت من الكلية وتزوجت وتوظفت، ثم أنجبت أولاداً انشغلت وأصبحت عبادتي روتيناً أؤديه فقط، يقول: فنمت ليلة فرأيت رؤيا عجيبة. رأيت إنساناً أتى لي وقال لي: هل تذكر ما

كنت تشعر به من حلاوة القرب من الله؟ فقلت له: نعم أذكر، قال لي: أتحب أن تذوقها مرة أخرى؟ فقلت له: نعم، ففتح قلبي ووضع شيئاً وأغلق عليه، وأنا في الرؤيا ذقت نفس الإحساس الذي كنت أذوقه أيام كنت في الثامنة والعشرين من عمري أيام كنت فيها حريصاً على الصلاة في المسجد والخشوع وقيام الليل وصلاة الفجر، والذكر والقرآن. يا ترى كم مرة تمسك المصحف وتجد نفسك لا تريد أن تتركه؟ كم مرة تسمع وتقرأ القرآن وتجد نفسك ترتل وجسدك يهتز من حلاوة التأثر مع الآيات؟ كم مرة عشت مع الكلام وشعرت به؟ إن كنت لم تذق هذه الأشياء الآن فمتى ستذوقها؟ لو لم تذق حلاوة الخشوع والعبادة وأنت ما زلت في بداية تدينك فمتى ستذوقها؟

وللبداية حلاوة:

بداية التدين لها حلاوة لا أحد يستطيع أن يصل إليها بعد ذلك، منذ سنين طويلة وأنا متدين وأحاول أن أصل لإحساسي بعد التزامي بأسبوعين أو ثلاثة لكن لا أستطيع، يا شباب يا من تدينتم مؤخراً ستذوقون شيئاً في القرب من الله مستحيل أن تتذوقونه بعد ذلك. لا تضيعوا هذه اللحظات، عبادة السنة الأولى هي التي تشدك إلى أن تموت، فأول سنة عبادة لها حلاوة، الصادق فقط هو الذي يحسها والله ستشعر أنك قوي جداً، أنا أطيع الله، سيدنا أبو بكر الصديق رأى وفد اليمن عندما أتوا للرسول ﷺ ليسلموا، دخلوا على النبيّ ﷺ وأسلموا بين يديه وسمعوا القرآن فبكوا. انظر كيف كانت البدايات؟ ظلوا يبكون ويبكون ويبكون فقال أبو بكر: هكذا كنّا قبل أن تقسوا القلوب، وكأن أبا بكر قلبه قاسٍ. أبو بكر يقول: نحن قديماً كنّا هكذا قبل أن تصبح القلوب قاسية.

سجود ليس ككل السجود:

ويأتي الآن الحديث عن سيدنا داود عليه السلام وعن عبادته، يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أتيت النبيّ ﷺ فقلت: يا رسول الله، رأيت الليلة رؤيا عجيبة رأيتني أصلي خلف شجرة وأقرأ القرآن فتخشع الشجرة لصلاتي حتى جاءت آية سجدة ـ أي سجدة التلاوة ـ فسجدت فرأيت الشجرة تسجد لسجودي ـ ***واللّه ان أصلى لحظات في حياتنا هي لحظات العبودية للّه تعالى*** ـ فسمعتها تقول وهي ساجدة: «اللهم اغفر لي بها وزراً واكتب لي بها أجراً واجعلها لي عندك ذخراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام» لا إله إلا الله! انظر إلى الشجرة وهي جماد تحس بالله، الحقيقة أن قلوبنا أصبحت قاسية حتى الصلاة في المساجد أصبحت لا ترقق القلوب. النبيّ ﷺ عند ما سمع هذه الرؤيا من أبي

سعيد قال: «**اجعلوها في سجودكم يعني في سجدة التلاوة**»[1]، الشجرة التي هي في عصر النبيّ ﷺ تعرف سيدنا داود عليه السلام، هل تلاحظون عمن تتكلم الشجرة؟ عن سيدنا داود عليه السلام وهي تقول: تقبلها مني مثلما تقبلتها من داود، يعني: سجدة داود كانت عظيمة جداً لدرجة أن الشجرة تتحدث بها حتى في عهد النبيّ ﷺ، ما شكل هذه السجدة إذن؟ ولذلك العلماء يقولون: طوبى لمن صحت وأخلصت له سجدة في سبيل الله، يا ترى هل سنحاول أن يكون سجودنا مشابهاً لسجود سيدنا داود؟ سجود يجعلك تحس بالقرب من الله تعالى أن قلبك خرج من الدنيا وأنك سلمته بين يدي الله تبارك وتعالى وأنت تعلن: أنا عبد لله تبارك وتعالى، أنا لا أشعر بمن حولي.

هل تستطيع؟

ثم لماذا اختصت الشجرة سيدنا داود عليه السلام بالذات مع أن كل الأنبياء سجدوا لله؟ يبدو أنها كانت سجدة خالصة جداً لله، يا لسعادة من يسجد سجدة من سجدات سيدنا داود عليه السلام. أحد العلماء يقول كلمة جميلة جداً: إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرح الناس بالدنيا فافرح أنت بالله، نتمنى أن نذوق هذا الكلام الذي نسمعه كنظريات ونتمنى أن نحس به.

وانطلق المزمار:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه كان جالساً في مسجد الرسول ليلاً يقرأ القرآن وكان جميل الصوت، فقال له النبيّ ﷺ: «**لقد سمعتك وأنت تقرأ لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[2].

ما مزامير داود؟ المزمار الأصل فيه أن يطلق على الغناء والموسيقى لكن سيدنا داود عليه السلام أحسن خلق الله صوتاً لم يخلق الله بشراً صوته أجمل من داود عليه السلام، فكان إذا قرأ الزبور وهو الكتاب الذي أنزله الله عليه تأثر كل الكون به، فسيدنا أبو موسى الأشعري أعطاه الله خاصية من خصائص داود عليه السلام، مزمار واحد يعني: حبل صوتي واحد من أحبال داود عليه السلام وهذا أجمل الصحابة صوتاً، تخيلوا إذن جمال صوت داود عليه السلام؟ هل حدث أنك تتمنى وأنت تقرأ القرآن أن تُسمِع نفسك من حلاوة تأثرك شخصياً بالقراءة التي تقرؤها؟

---

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 869)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 887)، وأخرجه **الدارمي** في (الحديث: 1/ 299)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 4/ 155).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 1848)، و(الحديث: 1849).

أين أنت؟

عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: لقيني رسول الله ﷺ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص شاب صغير له من العمر ثلاث وعشرون سنة تقريباً ـ فالنبي قابله في الطريق فقال: **«يا عبد الله، بلغني أنك تصوم الدهر كله وأنك تقرأ القرآن كل ليلة»** ـ طبعاً القرآن لم يكن قد نزل كله ـ فقلت: نعم يا رسول الله، فقال: **«لا تفعل ولكن صم وأفطر وقم ونم»**، لأن النبيّ ﷺ يريد مسلماً متوازناً لا يطغى عنده جانب على آخر. ثم قال له النبيّ ﷺ: **«يا عبد الله، اختم هذا القرآن في ثلاثين يوماً»**. فقلت: يا رسول الله، إني أطيق أكثر من هذا فقال: **«اختمه في عشرين يوماً»** فقلت: يا رسول الله، إني أطيق أكثر من هذا فقال النبيّ ﷺ: **«اختمه في خمسة عشر يوماً»** فقلت: يا رسول الله، دعني أستمتع بشبابي ـ انظر يقول: يا رسول الله أنا شاب صغير وعندي الصحة والفراغ. أحد التابعين يقول: تعبت من قيام الليل سنة واستمتعت به عشرين سنة ـ فقال له النبيّ: **«اقرأه في عشرة أيام»** فقلت: يا رسول الله، أطيق أكثر من هذا فقال: **«اقرأه في خمسة أيام»**، فقلت: يا رسول الله أطيق أكثر من هذا فقال: **«اقرأه في ثلاثة أيام ولا أقل من هذا»**، ثم قال له النبيّ ﷺ: **«يا عبد الله، صم ثلاثة أيام في الشهر تكن كمن صام الدهر كله»** لماذا؟ لأن الحسنة بعشر أمثالها ثلاثة أيام والشهر ثلاثون يوماً، إذن لو صمت ثلاثة أيام من كل شهر كأنك صمت السنة كلها، يا ترى هل نصوم الاثنين والخميس أم لا؟ وهل سنقوم الليل أم لا؟ وقال له النبي ﷺ: **«صم يوماً وأفطر يوماً وذلك أعدل الصيام، ذاك صيام دواد عليه السلام وهو أفضل الصيام»**، فصام داود عليه السلام عمره كله، منذ أدرك حتى، مات يصوم يوماً ويفطر يوماً، هل تتخيل عبادة بهذا الشكل؟

فقال لي النبيّ ﷺ في النهاية: **«يا عبد الله، لعله يأتي يوم يكبر فيه سنك لا تستطيع أن تفعل ما تفعل»**[1]، يقول: ومات النبيّ ﷺ وأنا الآن قد كبرت سني وامتد بي العمر وما عدت أطيق ما كنت أطيقه وأنا شاب، فيا ليتني سمعت ما أمرني به رسول الله ﷺ، لا بد من التوازن، التقصير الشديد الذي نعيشه اليوم لا يرضي الله أبداً عليك أن تحس بالعبادة، لو ضغطت على نفسك وقلت لها: لا بد أن تحسي بحلاوة العبادة، اقرأي قرآناً وبعد أسبوع سيراودك شعور بحلاوة العبادة، والدليل أننا في رمضان نحس بالقرآن ونحس بصلاة التراويح مع أن القرآن هو القرآن والصلاة هي الصلاة، لكن الفكرة والموضوع في النهاية في إنسان يريد أن يتقرب إلى الله وإنسان شغلته الدنيا.

---

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 2738)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 2425)، و(الحديث: 2426)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 749)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 2382)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 1713).

داود العابد:

ونكمل مع عبادة داود عليه السلام، يقول النبيّ ﷺ في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم: «**أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله ﷻ صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ويرقد سدسه**»[1]، ابدأ قيام الليل بركعتين خفيفتين قبل النوم.

أذكر لكم أثراً من الآثار الجميلة جداً لتعرف حلاوة العبادة، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود فقال: ***يا داود، ان لي عباداً أحبهم ويحبونني وأشتاق اليهم ويشتاقون اليّ ان حذوت حذوهم أحببتك، فقال: يا رب دلني عليهم فقال الله ﷻ: يراعون الظلال بالنهار*** ـ الظلال يعني: مواقيت الظل يعني: يحافظون على الصلوات في وقتها ـ ***ويحنون الى الليل كما تحن الطيور الى أوكارها حتى اذا جنّهم الليل وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي أقدامهم وفرشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بإنعامي، بعيني لا يلاقون في حبي وبسمعي ما يقولون في قربي فاول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم*** ـ إن من لا يحس بهذا الكلام هو حقاً مسكين، لو تمتعت بملذات الدنيا ولم تذق هذا الكلام فأنت مسكين خرجت من الدنيا ولم تذق أحلى ما فيها ـ ***فيخبرون عني كما أخبر عنهم ولو كانت السموات السبع والأرضين السبع في موازينهم يوم القيامة لاستقللتها عليهم واقبل عليهم بوجهي، أرأيت يا داود من اقبلت عليه بوجهي أيعلم أحد ماذا أريد ان أعطيه؟***

لا بد أن ننزع أنفسنا من هذه المادية الغارقة وننزع أنفسنا من أمام الفضائيات العابثة ونقوم نصلي وننزع أنفسنا من أمام الإنترنت الإباحي، ونقلل من الأكل لنتمكن من قيام الليل، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام: ***يا داود لو يعلم المدبرون عني شوقي لعودتهم وأملي في توبتهم لذابوا شوقاً اليّ، يا داود، هذه رغبتي بالمدبرين عني فكيف بمحبتي للمقبلين عليّ؟***

العجيب أكثر من ذلك أن سيدنا داود كان مكثراً من كل العبادات: الصلاة، قيام الليل، صيام النهار.

يقول النبيّ ﷺ فيما يرويه الترمذي: «**كان دعاء داود عليه السلام اللهم إني أسألك حبك**

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 2448)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 190).

وحب من أحبك وحب عمل يقربني لحبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»[1]. ولماذا الماء البارد؟ لأنه في شدة الحر وفي الصيف أول ما تشرب المياه الباردة تحيا روحك من جديد.

وصفة سهلة، لكن من يفعلها؟

وصية من يفعلها يعيش إن شاء الله سعيداً طوال حياته، استيقظ قبل صلاة الفجر بنصف ساعة وتوضأ وصلِّ ركعتين واهتم بالسجود وأعطه حقه ثم اقعد استغفر، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 17]، ثم ادعُ، الدعاء في هذا الوقت مستجاب دعاء الثلث الأخير مستجاب أي: لا يرد، يعني: من كانت عنده مشكلة عندك الثلث الأخير من الليل، هذا وقت إجابة، فالله في هذا الوقت ينادي؛ هل من طالب حاجة فأقضيها له، وأنت تسرع وتدق على أبواب الناس طوال النهار وهو ينادي عليك بالليل وأنت ترفض أن تذهب إليه، ثم يأتي أذان الفجر، صلِّ السُّنة واذهب وصلِّ الفجر في المسجد، وبعد الصلاة وأنت في طريق العودة إلى المنزل قل أذكار الصباح، كل هذا الأمر لن يستغرق أكثر من ثلث ساعة تقريباً، والله هذه وصفة سهلة جداً، ولا يطلب منك في باقي اليوم كله غير أن تصلي في المسجد، أما بالنسبة للفتيات فالأمر أسهل، ستصلين الفجر في بيتك ولو استطعتِ أن تصلي الفجر في البيت جماعة سيكون ذلك أفضل، ثم تقولين الأذكار بعدها تنامين، كل هذا لن يأخذ منك أكثر من ساعة، ستقولين لي: أنا لا أستطيع أن أنام بعدها وعندي عمل في الصباح، ستنام بعد بضعة أيام، ستتعود وسيكون هذا نظام حياتك، إنك قمت بعمل سبعة أشياء في ساعة واحدة، ثم أكمل باقي يومك مثلما أردت، ستجد باقي اليوم علاقتك بالله عجيبة؛ لأنك فعلت أشياء جعلتك أقوى إنسان، اليوم أنت قوي جداً، وقريب من الله تبارك وتعالى.

دين واحد:

سيدنا كعب الأحبار ـ كان يهودياً وأسلم ـ يقول: أقسم بالذي فلق البحر لموسى أننا وجدنا في كتبنا أن داود عليه السلام ـ يقول هذا لسيدنا صهيب في الكعبة ـ كان يقول هذا الدعاء كل مرة بعدما يفرغ من صلاته: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك ـ أنا لن أستطيع أن أثني عليك كما ينبغي، هل لاحظتم كم كان ثناء قلبه؟ ـ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»،

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3490).

فقال صهيب: والآن أقسم بالله العظيم أني سمعت رسول الله يقرأ نفس هذه الأشياء بعد أن يفرغ من صلاته، انظروا لتواصل نبينا مع داود ﷺ ولاحظوا أن الدين كله نسيج واحد والأدعية كلها شيء واحد، هل أنت تدعو كل يوم؟ هل أنت ترفع يديك كل يوم لله؟ هل تصدقون أن الذي لا يدعو كل يوم فهو بهذا مزق حبالاً كثيرة بينه وبين الله، ادع حتى في الدنيا يا أخي، ادع بما تريد في الدنيا من قبل أن تدع للآخرة، روى لي طالب في الجامعة قصته قائلاً: كل يوم وأنا ذاهب إلى الجامعة ـ قال لي كلاماً هزني ـ وأول ما أركب السيارة أبدأ أكلم الله قلت له: ماذا تعني؟ قال: أنا لا أعرف أن أقول هذا الكلام، هذا الدعاء المنمق مثل الشيوخ الذين يدعون، أنا أدعو بالعامية، قلت له: ماذا تقول؟ قال لي: أكلمه كل يوم وأقول: يا رب هل أنت اليوم راضٍ أم لا؟ هل أنت مسامح يا رب على الذي حدث أمس، سامحني يا رب، قربني منك اليوم يا رب، يا رب أنا كلما حاولت أن أترك الذنب الفلاني أرجع له ثانية، ليس لي غيرك، أبعده عني يا رب، أخرجه من قلبي يا رب، فقلت: هذا الشاب موصول بالله، طالما استطاع أن يخرج هذا الكلام إذن هو موصول بالله.

منظر مهيب:

أنزل الله تبارك وتعالى الزبور على سيدنا داود ﷺ، فكان ﷺ إذا قرأ يحدث شيء عجيب جداً تبدأ الجبال تسبح معه، حاول أن تتخيل، البشر تتجمع أول ما سيدنا داود يقرأ الزبور بصوت عال، ثم يقرأ ويستشعر معاني قدرة الله وآيات الجنة وآيات النار وصوته يتفاعل، وقلبه يستشعر، فيبدأ يسمع صوت الجبال وهي تسبح وفجأة تجد الطير تتجمع من كل مكان، حاول أن تتخيل هذا المنظر، الطيور تتجمع وتتجمع من كل مكان، ثم تقف فوق سيدنا داود ﷺ ترفرف وتقف مكانها وتسبح ويسمع لها تسبيحاً وتسمع الخلائق هذا التسبيح هل أنتم مصدقون أم لا؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: 18]، يعني: أذكار الصباح والمساء الجبال تسبح وتقولها والطير تتجمع وتتجمع من كل مكان، الكل متجمع في المكان الذي فيه سيدنا داود الكل محشور ﴿كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 19]، كل الطير وداود والجبال يؤوبون إلى الله تبارك وتعالى يستغفرون الله تبارك وتعالى، أريدك أن تتخيل هذا المكان سيدنا داود جالس وبجانبه جبل كبير والطير مظللة فوق سيدنا داود ﷺ وهم الثلاثة يقولون: لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44]، تخيل هذا المنظر المهيب، تخيل أنك جالس أمام بحر وتسبح الله وهذه الموجة تسبح معك، تخيل نسمة الهواء التي تمر عليك وهي تقول: لا إله إلا الله، أو تقول: سبحان الله أو تقول: الحمد لله.

وسبَّح الحصى:

روى أبو هريرة: فأخذ النبي بعض حصايات من الأرض فسمعنا تسبيح الحصا في يدي رسول الله ﷺ وهو يقول: لا إله إلا الله في يدي النبي، فأخذه النبيّ ﷺ وقال: «**يا أبا بكر خذ**»، وأعطى النبي الحصى لسيدنا أبي بكر فسمعنا تسبيح الحصى في يدي أبي بكر فقال النبيّ ﷺ: «**ردها إليّ يا أبا بكر**»[1]، فرد له الحصى، فقال: «**يا عمر خذ**» فوضعها عمر في يديه فسمعنا تسبيح الحصى في يدي عمر ﷺ وأرضاه، ثم أخذنا نحن الحصيات فما سبحت، سبحت فقط مع هؤلاء الثلاثة، (حديث صحيح). تخيل عندما تخشع لدرجة أن الكون يتفاعل معك، هل أنت متخيل هذه الدرجة من الخشوع التي كان فيها سيدنا داود عليه السلام، والتي كان فيها النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر ﷺ.

واهتز الحصان:

تخيل شخص مثل سيدنا أسيد بن حضير، وهو من كبار الصحابة من الأنصار، كان يقرأ في ليلة الجمعة سورة الكهف، وكان حصانه بجواره، فبدأ الحصان يتحرك من مكانه فقام سيدنا أسيد فزعاً وتوقف عن القراءة، فسكت الحصان فرجع ثانية للقراءة وبدأ الحصان يهتز ويتحرك من مكانه فتوقف وذهب للنبيّ ﷺ وقص عليه ما حدث فقال له رسول الله ﷺ: «**هذه السكينة، هناك ملائكة نزلت والحصان تأثر والسكينة نزلت من الله تبارك وتعالى من حلاوة قراءتك يا أسيد بن حضير**».

أفلا تُسبح معهم؟

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 79]، وقال تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ [سبأ: 10]، انظر لكلمة أوبي، تخيل عندما تسمع الجبل وهو يقول: أستغفر الله العظيم، ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾، عندما تذكر الله تبارك وتعالى تشعر بالسكينة والراحة النفسية، أتعرف لماذا؟ لأنك أصبحت أنت والكون في طريق واحد، الكون كله ذاكر لله، السجادة التي تقعد عليها مسرورة بذكر الله، والجدران كذلك، الكل يسبح، أفلا تسبح معهم؟

ولذلك يوم أن تكون عاصياً وكارهاً لطاعة الله وبعيداً عنه تتعب وتصاب بالاكتئاب؛ لأن الكون كله سائر في طريق وأنت عكس اتجاه الكون، الكون كله يقول: سبحان الله

(1) أخرجه **الطبراني** في «المعجم الكبير» (الحديث: 2/ 361)، وذكره **الهندي** في «كنز العمال» (الحديث: 38178)، و(الحديث: 37179).

والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر، لذلك النبي ﷺ عندما يطلع البدر ينظر إليه ويقول: «**هلال رشد وخير، ربي وربك الله**»[1].

تسبيح يشد الملك:

يقول تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ [ص: 18 ـ 20]، ما علاقة شددنا ملكه بالتسبيح؟ شيء يتكلم على الرقة، ما علاقة الرقة والإيمانيات بشددنا ملكه؟ لما أجاد سيدنا داود عليه السلام التسبيح لله تبارك وتعالى حافظ له الله على ملكه وثبته وجمّله وجمّل ملك بني إسرائيل. ***تعلموا التسبيح يا أمة فقدت فلسطين وتتمنى أن تستعيدها، لن يشتد ملك الأمة إلا بعبادة كعبادة داود*** عليه السلام، لما عَبَدَ الله حق العبادة قال الله له: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ [ص: 20]، ملك الأمة لن يشتد في الأرض إلا بعبودية حقّة لله ﷻ.

كم يد لك؟

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾، وكان سيدنا داود بالإضافة إلى عبادته كثير الخير كان يحب الخير لدرجة أن الله يقول عنه: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]، لها تفسيران: **الأول**: أي ذو القوة؛ لأنه كان مجتهداً في طاعة الله تبارك وتعالى، لكن لها **تفسير ثان**: وهو جميل جداً كان له أيدٍ في الخير كان كثير الخير. فمن كثرة ما تعمل يداه في الخير سماه الله: ذا الأيدي، يا ترى أنت صاحب كم يد أم أنك بخيل جداً؟ ليس معناها الصدقات فقط بل تذهب إلى ملجأ أيتام ومعهد سرطان وتساعد من فيه، وتقف بجوار هذا وتغيث ذاك وتصل الرحم وتكرم الضيف، وتعين الناس وتقوم الليل.

بَركة في الوقت:

هناك معجزة أخرى منحه الله إياه، معجزة عظيمة جداً وهي أن الله خفف عليه قراءة كتابه المقدس، يقول النبيّ ﷺ في حديث صحيح يرويه مسلم: «**خفف الله على داود قراءة القرآن**»[2] ـ القرآن أم الزبور، نص الحديث يقول القرآن ـ خفف الله على داود قراءة القرآن فكان يأمر عماله ـ يأمر الموظفين لديه ـ أن يسرجوا له السرج ـ يعني يعدون له الخيل ـ فينتهي من قراءة الزبور كله في قراءة جلسة، ستقول كيف ذلك؟ لقد بارك الله له في الوقت، النبيّ ﷺ يريد أن يشعرنا بالقرب من سيدنا داود عليه السلام فقال: القرآن.

---

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 5092).

(2) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 314).

سبحان القادر على كل شيء!

معجزة ثالثة حدثت لسيدنا داود، الله يقول عنه: أنه كان يمسك الحديد فيلين في يديه مثلما أنت تمسك بالصلصال وتشكله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10]، الحياة المادية الآن جعلتنا غير مصدقين أن هذا الكون ملك الله يفعل فيه ما يشاء، إن قصة داود وسليمان عليهما السلام كلها معجزات يفعلها الله تبارك وتعالى في كونه، يفعل ما يشاء سبحانه ويأتي بالخوارق لمن يشاء وما أنت إلا عبد لله ﷻ، صحيح أنه جعل للكون نواميس لكنه سبحانه يغير النواميس كلها إذا أراد، السكينة تذبح لكن على رقبة إسماعيل لن تذبح، النار تحرق لكن يدخل إبراهيم النار ولا يحترق، والحديد محتاج درجة صهر وأفران غير طبيعية ولكن داود سيشكله بيديه، والجبال صامتة سينطقها الله بالذكر مع داود، والمياه طبيعتها سائلة ولكن الله يوقفها مثل الجبل ليمر عليها موسى ومن معه، والشمس تجري في مجرة يوقفها الله لسيدنا يوشع حين يقول لها: أنت مأمورة وأنا مأمور، يا رب أوقفها حتى ننتصر على عدونا، فتقف الشمس، من الذي بيده الملك؟ وأنت ملك من؟

نحن ملك الله تعالى، ولا تخف فإن الله سيعز الإسلام؛ لأن الملك ملكه والأرض أرضه، سنين قليلة والدنيا ستتغير.

اختراع داود:

قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾، بدأ سيدنا داود عليه السلام يصنع من الحديد دروع الحرب، فاخترع شيئاً جديداً للحرب هو الدرع الذي يقي من ضربات السيف، ألان الله الحديد لداود للمحافظة على حياة الناس، كأن الله تبارك وتعالى ساعد داود عليه السلام أن يخترع هذا الاختراع العظيم للأرض ليحافظ على الأرض من الدمار، فالله تبارك وتعالى يريد للأرض الحياة والشيطان يريد للأرض الدمار.

يقول تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: 10، 11]، السابغات بمعنى: الدروع السابغة، ويسبغك الدرع أي: يغطيك من فوقك إلى تحت ولا يستطيع أحد أن يقتلك: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾، وهذا الدرع به فتحات حتى يكون الدرع خفيفاً، وقدر أي احسب حسابات فتحات حلقات الحديد، قدرها.

صفات داود:

تقول الآية: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾، هنا نقطتان:

الأولى: أن الغرب أغرته المخترعات العظيمة التي اخترعها فأحس أنه غير محتاج

للعبادة وأحس أنه غير محتاج أن يلجأ إلى الله، وكأنما الله يقول لنا: أنبيائي هم أول من اخترعوا في الأرض، وهم أول من أنتجوا في الأرض، انظروا إلى داود عليه السلام اخترع أول آلة حربية تقي في الحرب وهي «الدرع».

الأمر الثاني: أنه مع عبادة سيدنا داود العجيبة هناك حديث جميل جداً يقول فيه النبيّ ﷺ: **«أحب الصيام إلى الله صيام داود يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب القيام إلى الله قيام داود ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ويرقد سدسه»**[1]، ثم قال النبيّ ﷺ فيما يرويه الإمام أحمد بعدما حكى عن صيامه وقيامه: **«وكان لا يفر إذا لاقى العدو وكان لا يخلف إذا وعد وكان لا يأكل إلا من عمل يده»**، وصفه النبيّ بثلاث صفات لا علاقة لها بالعبادة، النبيّ ﷺ خاف أن يظن بعض الشباب أن العملية عملية عبادة فقط فوصفه بثلاثة صفات: **الأولى**: في جهاده، **والثانية**: في أخلاقه العالية: **«لا يخلف إذا وعد»**. **والثالثة**: أنه كان يعمل وصاحب مهنة: **«لا يأكل إلا من عمل يده»**، وذلك ليحدث التوازن في حياة المسلم.

هذا لا يرضي الله:

مثل ذلك كمثل امرأة تتعبد طوال الليل وتصوم النهار ومع ذلك تؤذي جيرانها وتلقي القمامة في الطريق، لذلك قال النبيّ ﷺ هذا الكلام حتى لا نظن أن داود كان يعبد الله فقط، فقد كان يعبد الله ومع ذلك كان لا يفر إذا لقي العدو، وكان لا يخلف إذا وعد، وكان لا يأكل إلا من عمل يده، الشاب الذي يرسب ويتعبد أنت بعيد جداً عن سيدنا داود عليه السلام، المرأة التي تتعبد وأخلاقها سيئة وتؤذي زوجها وجيرانها أنتِ بعيدة جداً عن العبادة التي يريدها الله، تعرفون أن أكثر من يشكل خطراً على الإسلام العابد سيىء الخلق الذي يغري الناس بعبادته والناس ترى دموعه وترى التزامه بالصلاة في المسجد، يقولون: يا سلام عليه وينظرون إلى أخلاقه وإلى فشله في الحياة يقولون: أعوذ بالله من دين مثل هذا، إياكم أن تفتنوا الناس عن دينهم بتصرفاتكم، والله هناك من يفتن الناس عن الله بسبب سوء تصرفاته.

سيدنا داود كان يقسّم وقته: وقت يفتي فيه للناس، ووقت يصنع فيه الحديد ليرتزق ووقت يقعد ليسبح ويعبد، أرأيت يومه كيف يسير؟ حتى لا يقول أحد: أنا ليس عندي وقت.

---

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 2448)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 3/ 215)، و(الحديث: 4/ 198).

أفتنا يا داود:

في وقت العبادة كان يدخل المحراب ويتعبد بمفرده، فبينما هو ذات يوم في المحراب وقت العبادة بعث الله له ملكين اخترقا ودخلا عليه المحراب ففزع منهم يقول تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص: 21]، ولماذا جاؤوا في وقت العبادة؟ لأن الله يريد أن يعلّم القضاة والمفتين إلى يوم القيامة حكمة من هذه الآية، وهي أن لا تفتي وأنت متوتر أو فاقد لأعصابك أو غير مركز، ولا تفتي إلا إذا سمعت رأي الطرفين، هذه هي الحكمة التي يريد الله أن يعلمها لنا عن طريق سيدنا داود عليه السلام. دخلا عليه المحراب وهو قاعد يتعبد فجأة وجدهما أمامه في صورة بشر إلا أنهم ملائكة ففزع منهما وتوتر: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: 22]، ما الموضوع؟ واحد يحكي له فيقول له: إن هذا أخي، أخي هنا بمعنى: صاحبي ولماذا قال أخي؟ من باب الأخوة في الله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: 23]، وأنا رجل فقير وليس لي إلا نعجة واحدة لكن أخي طماع فقال: أكفلنيها أي: أعطنيها أربيها لك مع نعاجي: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾، شدد علي في أخذها ولا يريد أن يعيدها لي وقال: هذه النعجة ملكي فالمسألة واضحة أليس كذلك؟ ظلم صارخ أليس كذلك؟ لكن سيدنا داود تعجل ولم يستمع للخصم الثاني فقام وقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾ [ص: 24]، وفجأة اختفى الملكان ففهم سيدنا داود عليه السلام أنه أخطأ في هذا الرد بأن أفتى قبل أن يسمع الثاني؛ ولأنه رد وهو في حالة غير مستقرة عصبياً، يجب أن يعلم القضاة قبل أن يفتوا أن يكون تفكيرهم مؤهلاً ولا يفتون قبل سماع الرأيين، ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص: 24 - 26].

ومات داود الغيور:

وجاءت وفاة سيدنا داود عليه السلام وقام سيدنا سليمان بغسله ودفنه، يحكي الإمام أحمد في حديث يرويه عن النبيّ ﷺ أبو هريرة: «**كان داود شديد الغيرة على نسائه**»[1] كان إذا خرج من بيته أغلق الأبواب عليهن، الغرب يتهمنا ويقول: أنتم تعددون الزوجات، بصرف النظر

(1) ذكره **الهيثمي** في «مجمع الزوائد» (8/ 206)، وذكره **الهندي** في «كنز العمال» (الحديث: 3232).

عن قضية تعدد الزوجات، الدين الوحيد الذي حلل التعدد بأربعة هو الإسلام، كانت مفتوحة قبل الإسلام أنا لا أقول ذلك هجوماً على النساء ولا تشجيعاً للرجال، إنما أقول ذلك لشيء واحد وهو أن كل الأنبياء عددوا، إبراهيم وإسماعيل وداود وسليمان، الكل عددوا إذن الموضوع حرب على الإسلام فالحديث يقول: فكان من شدة غيرته أنه يغلق البيت على نسائه، غيور سبحان الله! انظروا كيف أن رجالاً الآن يمنعون زوجاتهم من الحجاب، يمنعها ويقول لها: لا، أنا أريد أن يعرف الناس أنني متزوج امرأة جميلة، فطرة منتكسة للأسف الشديد.

ذات يوم خرج وإذا برجل في وسط الدار، فخافت النساء منه ومن غيرة داود، ورجع داود غضبان، رجل في وسط البيت؟ فدخل وقال له: من أنت؟ وهذا الرجل ثابت لا يتحرك فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي لا يهاب الملوك، أنا الذي لا تمنعه الحواجز فقال: عرفتك أنت ملك الموت اقبض روحي، بعدما الجبال كانت تسبح وبعدما الحديد قد لان مات داود عليه السلام، وانظر حب سليمان لأبيه في حديث الإمام أحمد يقول النبيّ ﷺ: «**فغسله وكفنه وطلع في الشمس بعدما غسله وكفنه فخاف سليمان أن يقل من يصلي على داود فطلب سليمان الطير فقال: يا طير ظللي على مكان الصلاة فأظلت الطير على مكان الصلاة فاشتد الحر** ـ الطير لما ظللت منعت الهواء ـ **فقال سليمان: يا طير حركي جناحيك**»[1]، يقول أبو هريرة: فرأيت النبيّ ﷺ يحرك يديه كما تحرك الطيور جناحيها.

كل ذلك ليصلي عليه الكثير من الناس، وفي يومنا ترى الناس ينتظرون بفارغ الصبر أن ينتهي الدفن ويذهبوا إلى منازلهم.

معجزات سليمان عليه السلام:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: 16]، وحكم بني إسرائيل، وأعطاه الله أربع معجزات:

وعلمنا منطق الطير:

أول شيء يقول الله تبارك وتعالى على لسان سيدنا سليمان عليه السلام: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: 27]، كان سليمان يسمع الطيور ويفهم ماذا تقول لبعضها.

تسخير الجن:

المعجزة الثانية: أن الله سخر له الجن، الجن مسخّر، ينادي إلى الجن ويأمرهم والجن

(1) أخرجه **الحاكم في** «المستدرك» (الحديث: 2/ 432).

لا يستطيع أن يعصيه، إن سيدنا سليمان سبق الغرب وسبق أمريكا؛ لأنه كان موصولاً بالله، العلماء يقولون: لماذا فتح الله على سيدنا سليمان كل هذه الفتوحات غير العادية؟ لأن سيدنا سليمان كان يستخدم أي شيء يعطيه الله له في طاعة الله ففتح الله عليه.

من يريد أن يفتح الله عليه فليستخدم كل شيء يرزقه الله به في طاعته.

الذي لا ينجب فليدع ويقل: يا رب لو رزقتني أولاداً سأجعلهم مثل صلاح الدين ويذهبون ليفتحوا فلسطين ويموتوا شهداء في سبيلك، وكن صادقاً في نيتك قل له: يا رب ارزقني مالاً لأساعد الإسلام وأنصره ولأعلم الأغنياء البخلاء أن ينفقوا، أتمنى أن أنفق يا رب، هل تصدقون أن سيدنا سليمان كانت هذه هي نيته وفتح الله عليه، كان يريد أن ينصر الإسلام ويطعم الناس ويساعدهم، العلماء يقولون: ولهذا وسع الله على سليمان توسعة لم يعطها لأحد من قبل، هل تريد أن يوسع الله عليك؟ وسع نيتك. قل: سأستخدم رزقك هذا يا رب في طاعتك، انظر ماذا تقول الآيات: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: 12]، هل رأيتم فيما استخدمهم؟ استخدم الجن في تجريف أماكن للعبادة من محاريب وتماثيل، كانت التماثيل في شرعهم ليست حراماً: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سبأ: 13]، وجفان كالجواب بمعنى: أنه جعل الجن يفعلون له إناء، كوب لكن في حجم البحيرة، جفان أي: أوان، كالجواب أي كبيرة جداً بحيث إن الآنية تسقي بلداً وبهذا يكون قد استخدم الجن، **أولاً**: في الأمور الدينية أنهم يقومون بعمل محاريب وتماثيل، **ثانياً**: في إطعام الناس، لو أنك تريد أن يفتح الله عليك استخدم هذه الأشياء لصالح الناس، فسيدنا سليمان كان موجهاً نِعْمة ربه عليه، فيعطيه الله أكثر وأكثر.

تسخير الريح:

المعجزة الثالثة: التي أعطاها الله له هي تسخير الريح: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: 36]، تخيل ينظر للريح يقول لها: تحركي للبلد الفلانية؛ لأن أهلها لا يجدون ما يأكلون، خذي هذه السحابة واذهبي، فيشير للريح فتتحرك ويقول الله تبارك وتعالى: أنها تجلب الخير والرخاء على المكان الذي يشير عليه ويتمنى أن تذهب إليه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: 81]، وسيدنا سليمان عليه السلام كان حلمه أن تكون الأرض كلها مؤمنة فعندما كان يريد أن يذهب لبلد هو وجيشه من إنس وجن وحيوانات وخيول وطير، كيف كان ينتقل هذا الجيش الكبير؟ اخترع شيئاً عجيباً جداً اسمه: البساط، أتعلمون بساط الريح؟ عمل الجن له بساط

الريح، وكان من الخشب ضخم جداً يجلس عليه الجيش كله، وبمجرد أن يستقر الجيش على البساط الخشبي تأتي الريح من تحت البساط وتحمله وتسير به المسافة التي تكون في شهر يذهبون به في غداة، غداة يعني: من الفجر للضحى، يقول الله تبارك وتعالى واصفاً هذه القصة: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: 34]، عين القطر: عين لا تخرج مياهاً، لكن تخرج نحاساً مذاباً يشكل به سليمان ما يريده، ما هذه الحضارة الرائعة؟

يعني: حضارة سيدنا سليمان عليه السلام أكيد تفوق حضارة أمريكا الآن، لكنها كانت حضارة مؤمنة، كانت حضارة موصولة بالله، أما الآن فالأرض في كساد؛ لأن أهل الأرض طغوا ولم يطيعوا الله رغم أن الله فتح عليهم بالتكنولوجيا والإنترنت، هذه نِعَمْ من الله وهو الذي جعل هذه العقول تفهم ثم تخترع هذه الأشياء، لكنهم لم يشكروا بل استخدموا هذه النِعَمْ في الإباحية والحرام وفي المعصية، ولهذا حصدوا تعباً نفسياً ودماراً وحروباً وعيش اللااستقرار، العالم كله قلق.

أعظم حضارتين في التاريخ:

يقولون: إن الدين والحضارة أو التقدم أو التكنولوجيا لا يجتمعان مع بعضهما أبداً، تريد حضارة ابتعد عن الدين، الدين داخل المسجد فقط ولا شأن له بالحياة، فنرد عليهم ونقول لهم: فما رأيكم أن أعظم حضارة وجدت في التاريخ حضارتان هما حضارة سليمان النبيّ وحضارة محمد ﷺ ولم تشهد الأرض حضارتين حدث فيها تفوق علمي ورخاء اقتصادي وقوة روحانية وسعادة للبشرية إلا في ظل هاتين الحضارتين، وهاتان الحضارتان دينيتان موصولتان بالله تبارك وتعالى، والدليل على هذا هو التاريخ، الذي يقول: إن أعظم حضارتين في التاريخ هما حضارة سليمان عليه السلام وحضارة محمد ﷺ، حضارة سليمان وصلت لدرجة من الإبهار والإعجاز لم يحققه أحد، وحضارة محمد إعجازها أنها كانت للبر وظلت ألفاً وثلاثمائة سنة.

مثل رائع:

ولتعرفوا مدى العظمة التي بلغتها حضارة الإسلام، في عهد عمر بن عبد العزيز تأتي أموال الزكاة، أموال ضخمة فيقول عمر بن عبد العزيز: أنفقوا على الفقراء والمساكين، وتنفق الأموال على الفقراء والمساكين ويرجعون لعمر بن عبد العزيز يقولون له: أعطينا كل الفقراء والمساكين ولم يعد عندنا فقراء ولا مساكين في دولة الإسلام والأموال كثيرة، فقال لهم: جهزوا بها الجيوش، فيقولون له: جيوش الإسلام منتصرة على كل ثغور الأرض،

فيقول لهم: من كان من المسلمين عليه دَين فاقضوا عنه دينه، تخيل القوة الاقتصادية، وبقي مال كثير فقال: من كان من الشباب يريد أن يتزوج فأعطوه وزوجوه، وطبعاً الشباب فرحوا بهذا فذهبوا إليه وقالوا: رصدنا للشباب الذي يريد أن يتزوج مالاً وبقي من مال الزكاة مال كثير، فقال: من كان من أهل الكتاب من اليهود والنصارى عليه دَين فاقضوا عنه دينه من بيت مال المسلمين، فيقول كلمته الشهيرة العظيمة: اشتروا بهذه الأموال حبوباً وانثروها على رؤوس الجبال حتى تأكل الطير من خير المسلمين. الآن القمح يرمى في البحر ليظل سعره مرتفعاً وهناك من يموت من الجوع.

وفي الختام:

بعد كل ما عرضناه هل شعرت بنية خالصة للعبادة أم لا؟ يجب أن نحس بحلاوة الإيمان، هل ستقتدي بسيدنا داود عليه السلام في عبادته وأخلاقه؟ وتستيقظ قبل الفجر بنصف ساعة لقيام الليل، وقراءة القرآن والاستغفار والدعاء، ثم تصلي الفجر، وتقول أذكار الصباح والصلوات في المسجد، ثم إن نِعَم الله تزيد لو استخدمتها لطاعته، واستخدمتها لنصرة دينه، هذا درس مهم من سيدنا سليمان عليه السلام، أيضاً عليكم ببر الوالدين خاصة عند موتهم، ثم إن حضارة الإسلام أعظم حضارة؛ لأنها حضارة موصولة بالله.

obeikandl.com